وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي قديم

أبو العتاهية من اللهو إلى الزهد

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

من إعداد الطالبة:

- قزمير فتيحة

إشراف الأستاذة:

بوتمجيت حبيبة

السنة الجامعية:

2022م – 2023م

1445هـ–1446هـ

شكر وعرفان

بداية الشكر لله عز وجل الذي أعاننا وشدّ من عزمنا لإكمال هذا البحث نشكره

ماحيينا،

ونشكره راكعين ...

الذي وهبنا الصبر والتحدي والجهد الثمين

لنجعل من هذا المشروع علما ينتفع به- نحن والآخرين-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"حديث صحيح صححه الالباني.

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان والاحترام

من قلوب فائضة بالمحبة والتقدير على الدوام

للأستاذة المشرفة "بوتمجيت حبيبة"-

نقدم أزكى تحياتنا وأجملها وأثناها نرسلها بكل إخلاص وعرفان ...

شاكرين كرم مساعداتها في انجاز هذا البحث والله المستعان.

إهــداء

إلى من أبصرت بهما طريق حياتي.....واستمديت بهما قوتي واعتزازي بذاتي..

إلى الكفاح الذي لا يتوقف، إلى الشامخين اللذين علماني معنى الإصرار والصبر وان لاشيء مستحيل في الحياة مع قوة الإيمان والتخطيط السليم،

إلى ينبوع العطاء المتفاني مدى عمري.. إلى والديا العزيزين:

والدتي الغالية شفاها الله وأمدها في عمرها وجزاها عني خير جزاء.

إلى روح أبي الطاهرة غفر الله تعالى له وطيب ثراه

إلى أخوايا وإخوتي الأفاضل

إلى من ربطتني بهم علاقة القربى والنسب...وعطر الصداقة... وورود المحبة

إلى الشهداء الأبرار...والأسرى البواسل...

إلى كل يد وقلب سار معي درب الانجاز لأكون....

إلى العلم...ورواده...وطلابه....

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي. راجية من الله أن تكون نافذة علم وبطاقة معرفة...وأن ينفعنا وينفع بنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

كلمة شكر .....
إهداء .....
مقدمة ..... أ

الفصل الأول : الحياة في العصر العباسي

تمهيد 2
الحياة السياسية 3
الحياة الاجتماعية 16
الحياة الفكرية 33

الفصل الثاني: حياة اللهو عند أبي العتاهية واثاره

التعريف بالشاعر وحياته 46
حياة اللهو والمجون عند أبي العتاهية وأثاره 57

الفصل الثالث: جدلية الزهد عند أبي العتاهية

تحوّله إلى الزهد 90
دوافع وأبعاد تجربة أبي العتاهية الزهدية 111
مصادر شعره الزهدي 131
أبو العتاهية والتصوف 143
الخاتمة 149
قائمة المصادر والمراجع 152

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله على إحسانه وله الشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وخلانه.....أما بعد:

يعد العصر العباسي عصر النهضة في تاريخ العرب وحضارته ، وقد تعدّدت فيه المعارف، وتلاقت الثقافات، وتلاحقت ونضجت العلوم العربية وتأصلت؛ لينبثق ذلك المزيج الغريب في شعراء عدّو حلقة وصل بين المتقدمين والمحدثين، أمثال أبي العتاهية الذي عرف بزهده وتقشفه؛ فأخذ النقاد والأدباء عنه الشيء الكثير، ونقلت أخباره بين مسرف ومقتصد، لكنه لم يكن كذلك إلا في أخريات حياته؛ إذ عرف قبلا بالمجون والتخنث في بداية حياته ،وهو الجانب الذي لم تسلط عليه الأضواء كثيرا.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات حوله إلا أنّه كثرت الشكوك حول حقيقة زهده ، ولعلّ أغلبها جعلت من حياته الأولى الماجنة دليلا على عدم صدق زهده.

يكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة تكمن في محاولة الاطلاع عليه لما يمثله من قيم جمالية فنية ومحط ضروب الشعر العربي، ومدى تواصل شاعر هذه البيئة بواقعه المعاش وتكيفه مع زمنه حينما تشغله الحياة وملذاتها حينا، وتأمله في الكون حينا أخر، وخاصة حينما تنطلق هذه الأشعار من الذات ، موحية بالألم والعذاب .

إنّ شعر أبي العتاهية له قيمته الأدبية والأخلاقية ؛ إذ لم بهمل ذكراه مع مجونه كبار الأدباء وعظماء الشعراء، وذلك مايعكس لنا صورة ذلك المجتمع الذي كان يعجّ بالأخلاق المتباينة، والقيم المتنوعة، لما يعطي الباحث قدرة على استيعاب حقيقة ذلك المجتمع ليتعرف على مايحمل من الأفكار الوافدة والثقافات الأجنبية والآراء الناتجة.

ومن هذا المنطلق كان بحثنا موسوما بـ" أبو العتاهية من اللهو إلى الزهد"، فجاء سبب اختيارنا لهذا الموضوع تلبية لرغبة ذاتية، كون أنّ الشاعر شخصية عاشت تجربتين متناقضين معا(المجون والزهد)، وهذا ما أثار فضولنا للبحث فيه، وأخرى موضوعية دفعتنا لقراءة ماجادت به قريحته من شعر، ولكونه أنتج فنّا شعريا قيّما تاركا بصمته في سجل القدامى والمحدثين معا.

وقد تبادرت إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة يمكن تلخيصها في أهم النقاط :

- هل كان أبو العتاهية حقًّا من المجَّان؟
- هل كان تحوّل أبي العتاهية إلى الزهد هروبا من ضعة أصله؟
- هل زهد أبي العتاهية كان في شعره فقط أم في حياته أيضا؟
- هل بساطة شعر أبي العتاهية أنقصت من قيمة شعره؟

وللإجابة على هذه الأسئلة قدّمنا هذه الدراسة في خطة تمثلت في: مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة، حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى الحياة في العصر العباسي(عصر الشاعر) ، وفيه تناولنا الحياة السياسية وماحملته من ثورات حول الحكم وسياسة الحكام، أما الحياة الاجتماعية فتمثّلت في الترف والمجون والخلاعة، وأيضا الزهد والتنسك، ثم عرجنا إلى الحياة الفكرية وماتميزت به اهتمام بالعلم والعلماء ،أما الفصل الثاني فكان موسوما ب: حياة اللهو عند أبي العتاهية وأثاره، إذ تحدثنا فيه عن مجونه ،وعلاقته بالجواري وجريه وراء جمع المال، وتطرقنا في الفصل الثالث إلى: جدلية الزهد عند أبي العتاهية، إذ تعرضنا فيه إلى تحول الشاعر إلى الزهد، ثم ثورته على أوضاع عصره و دوافع وأبعاد زهده وصولا إلى مصادر شعره الزهدي فعلاقته بالتصوف.

ولما كانت طبيعة الموضوع تقتضي الأخذ بمنهج معين لهذا البحث انتهجنا المنهج التاريخي في تتبع حياة الشاعر وأحداث عصره ، والمنهج التحليلي في عرض نماذج من الشعر وتحليلها.

و ساعدنا في هذا مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

– ديوان أبي العتاهية طبعة بيروت الذي يعد المصدر الرئيسي لأشعار أبي العتاهية

–أبو العتاهية أشعاره وأخباره للدكتور شكري فيصل هذا كتاب تحقيق جديد لديوان ابي العتاهية "زهدياته" وتحرير لنصوصه يعتمد على نصوص لم تعرف من قبل وأرجوزته ذات الأمثال وجمع أشعاره المتناثرة في أغراضه الأخرى على نحو جديد يحرص على مقارنة الأشعار كلها بأخبارها وإسنادها.

– أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ب ط، دار الكتب.

– أبو العتاهية حياته وأغراضه الشعرية للدكتور احمد محمد عليان الذي يبين مكانة أبي العتاهية بين الشعراء ويدرس الموقف الذي يعده مضطربا في زهده.

وككل باحث أراد لبحثه أن يكون مفيدا له ولغيره وسعى بكل ماراه وسيلة للوصول الى هدفه فإننا وجدنا بعض المصاعب ،منها قلة البحوث والكتب عن مجون الشاعر، رغم إجماع الباحثين على أنّه كان ماجنا في بداية حياته، إلا أنّنا وبعون الله حاولنا الإحاطة بكل جوانب حياته قدر الإمكان ، وما توفيقي إلا بالله .

في 01 اكتوبر 2023

الفصل الأول: الحياة في العصر العباسي

- أولا /الحياة السياسية
- ثانيا/الحياة الاجتماعية
- ثالثا/الحياة الفكرية

تمهيد:

امتاز مطلع العصر العباسي بظهور مجريين مختلين: مجرى مجون وخلاعة، ومجرى زهد وتقشف الذي ظهر كرد فعل للمجرى الأول، وصدى من أصداء الحكمة التي اندفعت إذ ذاك على بلاد العرب.

فإثر الثورة العباسية زاد الرخاء والنعيم وسعة العيش، وانتشر الترف وشاع من أقصى البلاد إلىأقصاها،فبرز أبو نواس وبشار ينشدان أغاني المجون والخمرة، ويدعوان إلى الاستمتاع بملذات الدنيا وشهواتها.

واندفعت في نفس الوقت على بلاد العرب مجاري الحكمة آتية من ديانات مختلفة، امتزجت في بغداد وفي جميع أقطار الخلافة منها: اليهودية، المسيحية،والآرمية...وغيرها من الديانات التي تدعوا إلى نبذ شهوات الدنيا والتعلق بالآخرة ، مما أنشأ حركة زهدية تزعمها أبو العتاهية كرد فعل لأغاني مجون بشار وأبي نواس.

أولا /الحياة السياسية:

تعتبر الثورة العباسية آخر الثورات التي اندلعت ضد بني أمية، إذ كان هدف أصحابها الإصلاح الاجتماعي،فمنهم من سلك طريق الرفق واللين وهم جماعة الفقهاء،وأكثرهم من سلك طريق العنف على نحو ما كان يزيد بن الزبير والخوارج والشيعة،وابن الأشعث ويزيد بن المهلب،الذين ثاروا وحملوا السلاح في وجوههم، غير أنّهم استطاعوا أن يقضوا على كل ثائر، خائضين في ذلك "بحارا من الدماء" نكالا لكل من يحاول الثورة على نظمهم السياسية والاجتماعية[1].

ظهرت بوادر سقوط الدولة الأموية بظهور النزاع بين الأمويين والشيعة العلوية، على اختلاف فرقها، بمظهر شديد رهيب أواخر القرن الأول هجري، وكان المحرك الأعظم لهم الأعاجم من الفرس الذين حقدوا على العرب؛ لتعصّبهم للروح العربية واحتكارهم للمناصب السياسية المرموقة للدولة، واحتقارهم للموالي والدخلاء على العربية، إذ أراد الفرس استرجاع ما فقدوه من نفوذ وسلطة بعد زوال دولتهم ،فقاموا يبثّون الدعوة ضدّ بني أمية، ويثيرون أحقاد الناس وضغائنهم في كل مكان، فوجدت دعوتهم أرضا خصبة وجوا صالحا في أدمغة الشيعة، وكانت بداية هذه الحركة منذ أن سلّم الحسن بن علي زمام الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، فأخذوا يؤسّسون الجمعيات السرية والأحزاب القوية في العراق وخراسان، ورشّحوا محمد بن علي وهو محمد بن الحنفية للخلافة ،وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقها في مجاهدة الأعداء، وتنظيم الحركة ضدّهم، فقبل ذلك منهم، وعيّن الدعاة في مختلف المناطق للبلاد لنشر أمره بين المخلصين والثقاة سرا،فعمل الفرس على مساعدة الشيعة التي كانت تطالب بالخلافة لآل البيت، فضحّوا بأموالهم وأنفسهم لإنهاضها وتقويتها، وبث دعوتها سرّا وعلنا،وقد ظهر هذا

[1]–ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار العارف، القاهرة، ديسمبر، 1966، ط8، ص09.

النزاع بمظاهر عدّة تمثّلت في حركات، مظهر الحركة الزيدية، الحركة الجعفرية،الحركة الإباضية والحركة العباسية[1].

فقد حطّم بنيان الدولة الأموية الدعوة المنظمة التي بثّتها هذه الأحزاب، والأموال الطائلة التي بذلها الزعماء والجمعيات السرية،حيث انتشر رجالها في كل مكان يدعون لآل البيت وينالون من بني أمية، الفئة الضالة القاسية المغتصبة في عرفهم،ولم يحاولالأمويون تهدئة الأمور وإرضاء الناس والأحزاب بل راحوا يثيرون روح العصبية بين اليمانية والمضرية،ويستميلون تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ،فخلق ذلك مجالا لينصب لهم أعداؤهم المكائد[2].

وما ساعد على الثورة مبالغة الأمويين في الظلم والجور والابتزاز، إذ أصبح واضحا لدى العام والخاص أنّ هدفهم ليس إلا الحكم والسيطرة والتحكم في ممتلكات الأمة وثرواتها، والتمتع بالملذات والشهوات أينما كانت وحيثما وجدت، وليستلمصلحة الأمة وسعادتها ورفاهيتها أي اعتبار.

تحركت الدعوة العباسية تدعمها سيوف الفرس،وترعاها أموالهم، ويبنيها رجالهم، وكانت كغيرها من الحركات، لا همّ لها إلا القضاء على النفوذ الأموي ونقل الخلافة إلى آل البيت، كما أنّ النّاس الذين قاموا يؤيّدونها لم يفكّروا إطلاقا أنّهم ينصرون آل العباس، وأنّ آل عباس سيضطهدون العلويين ويضربونهم في الصميم ،ويلاحقونهم في كل مكان كما فعل الأمويون بهم من قبل، بل اعتقدوا اعتقادا راسخا أنّهم يدافعون عن حق مغصوب لأبناء النبيّ، وأنّه لابد من إرجاع هذا الحق إلى أصحابه، ولايكون ذلك إلا بقتال الأمويين،وبعد أن اشتدّ العداء بين الأمويين وبينأهل البيت،وصلوا بهم الغاية قتلا وعنفا

[1]– ينظر احمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج3، مطبعة الغرى، النجف، سنة 1939، ص4–5.

[2]– ينظر علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سنة 1989، ص83–84.

وتشريدا، تمادوا في عدائهم لكل من تشيّع لعلي رضي الله عنه وملاحقتهم لهم في كل مكان، وبفضل جهود أهل البيت المتواصلة في توعية الناس بإظهار أحقيتهم وبحقيقة دوافع تلك الفئة الفاسدة كان من الطبيعي أن ينم تعاطف الناس مع أهل البيت كلّما ازداد نفورهم من الأمويين، ونقمهم عليهم، فقد نشبت الثورات والفتن ضد الحكم الأموي من كل جانب ومكان طيلة فترة حكمهم، حتى أنهكت قواهم وأضعفتهم إلى حد كبير،حتى لم يعد باستطاعتهم التحكم في البلاد والسيطرة على العباد[1].

وكانت تلك الثورات منها مايتّخذ الطابع الديني على العموم، مثل ثورة أهل المدينة المعروفة بـ "وقعة المرة"، وثورة قرّاء الكوفة والعراق المعروفة باسم "دير الجماجم" سنة 80 هـ، وقبلها ثورة" المختاروالنواسين"سنة 67هـ، وأيضا ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة، و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"سنة 126هـ، وثورة عبد الله بن الزبير.....ثم الثورة التي قامت ضد هشام في إفريقيا، وثورة الخوارج بقيادة المسمى "طالب الحق" سنة 128 هـ، ثورة "الحارث بن سريح" في خراسان داعيا إلى كتاب الله وسنة رسوله سنة 116هـ،أما ماكان منها بدافع غير ديني نذكر منها "ثورة المهلب"سنة 102هـ، وثورة مطرف بن المغيرة.....

وقد انتهت ثورات ابن الزبير وابن الأشعث ويزيد بن المهلب بمجرد القضاء على أنصارهم، أما ثورات الخوارج والشيعة فقد كانت تشتعل من حين لآخر، كلّما قضوا على ثورة هبّت أخرى، إذ رأوا أن الأمويين قد نهبوا السلطان من الأمّة ولابد أن يعود إليها، وجاهدوا في ذلك جهادا عنيفا، خاصة منهم الخوارج الذين لم يستيئسوا أبدا،فكانوا أكثر اندفاعا وإقداماالايخافون الموت نفسه، فقد أشهروا سيوفهم باذلين أرواحهم في سبيل عقيدتهم لإرضاءالله والدين "حسب رأيهم"، فقتلوا كل من خالفهم، فيُقتلون راضيين[2].

[1]– ينظر جعفر المرتضى العاملي، الحياة السياسية للإمام الرضا، ص 23–24.

[2]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 10.

وأهم ثورات الشيعة المسلّحة ثورة المختار الثقفي بالكوفة، وقد استطاع مصعب بن الزبيرحين كان واليا لأخيه من القضاء عليها، لم تقم لهم بعدها قائمة حتى كانت ثورة زيد بن علي زين العابدين في أول العقد الثالث من القرن الثاني والتي انتهت بإخفاق ذريع1

وقد تبعهم في هذه الثورات فئات من الموالي الذين عاشوا الظلم أيام بني أمية، فقد حرمواالمساواة بالعرب في الحقوق، وخالفوا الإسلام وما يدعوا إليه في المساواة المطلقة بين العرب وغيرهم في الضرائب وغيرها، فعاشوا أنواع الظلم والبؤس، فكان من الطبيعي مطالبتهم بحكّام جدد يقرّون بمبادئ الإسلام التي توجب المساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات، وإنكار الظلم، واستغلال طبقة لطبقة أخرى، فعلّقوا آمالا كبيرة على أبناء علي وأسرته الهاشمية، الذي اشتهر بالعدل، غير أنّهم فقدوا فيهم من ينظم ثورتهم فيقودهم إلى النجاح[2]

وقد علم بالأمر أبناء عمومتهم العباسيون الذين أرادوا أخذ الزعامة منهم، إلا أنّه حال دون ذلك التفاف الشيعة بأبناء علي وحدهم، من غير الهاشميين، كانت الخلافة الأموية في أوجّ قوتها في القرن الثاني، وكان الخليفة آنذاك "عمر بن عبد العزيز"، غير أنّهم وجدوا طريقة لتحقيق أمنيتهم عن طريق محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ،الذي تولّى الخلافة بعد وصية الخليفة أبي الهاشم الذي ورث زعامة الفرق الشيعية بعد أبي الحنيفة، والذي تقرَّب من محمد بن علي بعد علاقته الوطيدة بأبيه، فعمل هذا الخليفة على تنظيم الدعوة العباسية سرّا من مقرّه في الحميمة، فجعل الكوفة دار للتشيّع ومقرّه مركزا لها[3].

[1]– ينظر شوقي ضيف . العصر العباسي الاول، ص 120

[2]– ينظر الى المرجع نفسه .ص 10

[3]–ينظر يوليو قهلوز، تاريخ الدولة العربية،منذ ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية.ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو زيد.القاهرة سنة1968.ط2.ص 474–480.

وقد كثّف نشاطه، وأوكل من يثق بهم للعمل على نشر الدعوة العباسية، ومبادئها الداعية للعمل والمساواة والإطاحة بالحكم الأموي الفاسد، فأوكل "ميسرة العبدي" بالدعوة، حيث كان الموالي يحملون الغضب والسخط من ظلم الأمويين، فمضوا يحرّضون الناس ضد بن أمية، وجعلوا للدعوة مركزا في خراسان، لأنّها كانت ملائمة لتحرك دعوتهم، وبعيدة عن حاضرة الخلافة، كما أنّها خالية من الأهواء الحزبية، ومعظم سكانها عجم، وأصلها عرب[1].

ولما مات "ميسرة" خلفه "بكير بن ماهان"،وكان لا يقلّ عن "ميسرة "دهاء وحنكة، إلى أن مات "محمد بن علي العباسي" سنة 125 ، فخلفه ابنه "إبراهيم"، فتوفي "بكير" فخلفه صهره "أبو سلمة الحلال"[2].

أظهر العباسيون مهارة تامة في تكتمهم، فحذروا حذرا شديدا من العرب، فكانوا لا يفشون أسرارهم إلا للمخلصين لهم؛ فأظهروا براعة تامة في تمثيل مهادنة ظلم بني أمية وتهتكهم واستخفافهم بهم، فعملوا وناضلوا ودعوا الناس سرا لمناصرتهم.

وكان "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" قد ولى الخلافة، وقد عرف بإدمانه للخمر وملازمته للفسّاق والمغنيين، فكان إشارة إلى ضعف وفساد الخلافة العباسية، إضافة إلى فساد النظم الاجتماعية التي أثقلت الموالي كاهلهم، وانتشار الترف والفساد كما اشتد الصراع على الحكم بقوة؛ إذ قتل على إثره "الوليد "فخلفه "مروان بن محمد"، إلا أنهّم نبذوه وثاروا ضدّه، وفي هذه الفترة تولّى "أبو مسلم الخرساني" قيادة الدعوة، فحرّض الناس على القضاء على الحكم الأموي، مبيّنا فساده وفساد حكامه[3].

---

[1]– ينظر حسن عطوان، الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، دار الجيل، بيروت، مؤسسة خليفة للطباعة، ص 15–16.

[2]– ينظر حسن خليفة، الدعوة العباسية قيامها وسقوطها، ط1، المطبعة الحديثة بشارع خيرت، القاهرة، سنة1931، ص25–27.

[3]– ينظر يوليو قهلوز، تاريخ الدولة العربية، ص 491–492.

فكان أشهر رجال الدعوة العباسية بكير بن ماهان، سليمان بن كثير، لاهز بن قريط، قحط بن شبيب وغيرهم من رجال الفرس والشيعة، وقد خدموا القضية العباسية خدمة كبرى فضحّوا بأموالهم وأوقاتهم وراحتهم في سبيلها، فبعد موت محمد بن علي خلفه ابنه إبراهيم المعروف بالإمام،وكان ساعده الأيمن أبو مسلم الخرساني، الذي أسند إليه منصب الزعامة على جميع النقباء في خراسان، وقد أوصاه إبراهيم بالتكتّم واستعمال الشدة مع أحزاب بني أمية ومناصريهم من العرب، فأوصاه بقوله:"يا أبا عبد الرحمان – يعني أبا مسلم– إنّك رجل منّا –أهل البيت–فاحفظ وصيتي، انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، فإن الله لايتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فإنّهم معهم، وانظر هذا الحي من مضر فإنّهم العدو القريب، فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه تهمة.....السيف السيف لاتثق العدو بطرف....إن استطعت لا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل، وأيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله"[1]، فبهذا رأى أنّ العرب عموما أعداء لحركته،وعامل للانحلال فيها، وفي نظره الحصن الحصين لدعوته هم الفرس، فاعتمد عليهم اعتمادا كليا.

وأعجب الإمام بما امتاز به أبو مسلم من الصفات الحسنة،كحسن المنطق، والعقلالراجح،والرصانة والصبر وعدم الاهتمام بالمظاهر الخلابة، ومقدرته على كتمان الأمور وضبط الشعور، فقال فيه:"هذا عضلة من العضل"[2].

وقال فيه ابن خلكان:"كان أبو مسلم خافض الصوت، فصيحا بالعربية والفارسية، حلو المنطق، راويا للشعر عالما بالأمور، لم يرى ضاحكا ولامازحا إلاّ في وقته....كان

[1]– ابن قيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ت علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، سنة 1990م، ج2، ص218.

[2]– ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر بن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ج1، ص 280–283.

أقلّ الناس طمعا وأكثرهم طعاما"[1].

أما العبري قال فيه:"كان أبو مسلم ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ومروءة، وكان فاتكا قليل الرحمة قاسي القلب سوطه سيفه"[2].

ولم يكد أبو مسلم يستلم مهام منصبه حتى أظهر براعة تامة في نشر الدعوة، فوجّه رجاله إلى النواحي من خراسان بزي التجار، ونظّم حركته فولّى على شيعته في البلاد رجالا من أهلها، وكان على اتصال بهؤلاء الزعماء، وبلغ من نجاحه أنّه أجمع الخراسانيون على محبته وصار من أعز الناس عندهم منزلة، أرفعهم مقاما، فقال الدينوري:"إنّهم كانوا يتحالفون فلايحنثون ويذكرونه فلايملّون"[3].

لجأ أبو المسلم الخرساني إلى السياسة المعروفة بسياسة" فرق تسد"، حينما أراد القضاء على العرب الأمويين المنتشرين في الأقطار الفارسية، واستغل اختلاف بعضهم على بعض،فراح يشعل نار العصبيّة في صدورهم،ويرسل دعاته إلى الزعماء ليوقعوا بينهم الضغينة والبغضاء، كما فعل الخلفاء الأمويين المتأخرين، الذين لجئوا إلى تفرقة العرب وإنماء روح العصبية بينهم، باستحسانهم لفئة وإقصائهم لأخرى، فجاء أبو مسلم وبذل الأموال لإثارة الفتن بين مختلف القبائل، فتكلّلت مساعيه بالنجاح وهُيأ له الجو للهجوم على الأمويين، وقد تألّم نصر بن سياب الليثي لما أصاب القوم من تفرقة وخذلان، فاستنجد الحكومة في دمشق التي كان على رأسها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، لكن هذاالأخير كان مشتغلا بثورات الخوارج في العراق وغيرها،وإذا به اشتعلت نيران الحروب وسفك الكثير من الدماء، وتقدمت جيوش أبي مسلم بقيادة "قحطبة" وابنه الحسن

---

[1]– ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ج1، ص 280–283

[2]– ابن العبري (غريغوريوس ابي الفرج بن اهرون الطبيب الملطي)، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط2، 1994، ص209.

[3]– الدينوري(أبي حنيفة احمد الدينوري)، الأخبار الطوال، ط1، 1330ه، مطبعة السعادة بمصر، ص 344.

حتى وصلت جيوش أبي مسلم إلى العراق فيقتل "قحطبة" ،ويخلفه ابنه "الحسن" ويدخل الكوفة دون مقاومة، فتبرز راية بني العباس عالية جلية بزعامة أبي سلمة الحلاّل[1].

وقد عمل الفرس على تحريك الأعاجم والشيعة ضد بني أمية، ثم أنّه قام يدير زمام المعارضين للخلافة الأموية رجال أقوياء مخلصون كأبي مسلم الخرساني وبكير بن ماهان وغيرهما، بينما كان الخلفاء المتأخرون من الأمويين لاهين مستهترين لايباشرون إدارة الأمور بأنفسهم بل يكلونها لأرباب اللهو وأهل المجون وقد أسرفوا في ذلك إسرافا هائلا وتنازعوا على الخلافة وقد كثرت الثورات المنادية لإسقاط الحكم، وظلّ العباسيون طوال هذه الفترة ينادون لتغيير النظام، ولا يذكرون أنّهم طلاب خلافة، إنّما يرون إسقاط الدولة الأموية التي كثر فيها الظلم والطبقية والاستبداد الشعب واستبعاده، وحياة الترف للأمويين ومبالغتهم فيها، مما يدعو إلى ضرورة محوهم، إذ لا يمكن إصلاحهم إلا بمحوهم، وبذلك أخفى العباسيون أشخاصهم ودافعوا عن قضيتهم بنصرة الحكم الصالح ونصرة العدل والمساواة، فكان هدفهم الأول القضاء على أفراد البيت الأموي واستئصالهم استئصالا[2].

وقد أراد "أبو سلمة الحلال"أن يختار من أحفاد علي بن أبي طالب للخلافة، إلا أنه اضطر أن يؤيد أبا العباس، هذا الأخير الذي خطب مباشرة في جامع الكوفة، فبايعه الناس وأيّدوه،في الكوفة مركز العلويين، ليتحول إلى خراسان ثم الحيرة، إلى أن دسّ إلى أبي سلمة من قتله فقتل[3]،ويذكر "ابن كثير" صاحب كتاب"البداية والنهاية"من الصراعات والثورات التي حدثت في ذلك الوقت قيام الجيوش بمتابعة "مروان بن محمد" بقيادة "عبد

[1]– ينظر يوليو قهلوز، تاريخ الدولة العربية، ص 491–492.

[2]– ينظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، نقلها إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1973، ص746 ومابعدها.

[3]– ينظر رفيق المهايني، تاريخ الخلافة الأموية والعباسية، مطبعة دار اليقظة العربية، دمشق، 1946، ص105 وما بعدها.

الله بن علي" عم السفاح، فالتقيا في مدينة "الزاب" شمال العراق، وهنا هزم مروان وجيشه الذي حاول الفرار من "صيران" إلى نهر أبي فطرس فلسطين والأردن إلى مصر، ومن بلدة إلى أخرى إلى"بوصير" من بلدان الصعيد أين لقي حتفه سنة 132 هـ على يد أخيه "صالح" [1].

وقد فتك بأفراد البيت الأموي فتكا ذريعا، حتى موتاهم لم يسلموا إذ نشبت قبورهم وحرقت جثتهم ،ماعدا قبري معاوية وعمر بن عبد العزيز[2].

ففرّ على إثر ذلك عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس، وأسّس بها دولة أموية جديدة، بقيت حوالي ثلاثمائة عام[3].

وبهذا ظفرت الثورة العباسية بالأمويين، ومن ثمّ رأى العباسيون أن يتخذوا من بغداد مركزا لخلافتهم؛ لبعدها عن الفتن من جهة، ومن جهة أخرى موقعها المتميز بين المدن العريقة، والأنهار المتدفقة الثرية بالتجارة من مختلف الأراضي، ثم أنّها بين مزارع وأشجار العراق ومدنه، فعلا شأن بغداد، وأصبحت الشام ولاية تابعة له بعد أن كان العكس، فاتخذها أبو جعفر المنصور عاصمة للدولة، وقد سماها "دار السلام" وضرب النقود باسمها،فكانت مركزا لمختلف الحضارات الكلدانية والفارسية والأرمينية، وقد بنى قلعته الحصينة بأيدي مهندسين وصنّاع من مختلف أطراف الأرض،على شاكلة المدن الفارسية والآسيوية القديمة، كان يحيط بهاخندق كبير، وسوران شاهقان وسور داخلي زيادة في تحصينها، وفتح في كلباب خارجي مجلس يصعد إليه على الخيلوقباب

---

[1]– ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1419هـ–1998، ص153وما بعدها .

[2]– ينظر أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج3، منشورات مكتبة الحيدر، طبعة نجف، 1964، ص91–95.

[3]–ينظر وأبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب، ج3، مؤسسة دار الهجرة، ص139–140.

مذهّبة على رأسها تماثيل ، تتّجه مع الريح، كما بنى داخلها مسجدا كبيرا، وبنى بجواره قصره المسمى "قصر الذهب"،كما بنى قصره الصيفي على"دجلة" سماه "قصر الخلد" تبركا بالجنة، وأجرى إليه الماء عبر قناتين، ثم عدّد القنوات[1].

ثم كثر بناء المساجد والقصور الفخمة، منها "قصر الرصافة" و"قصر الوضاح" و"قصر السلام" و"قصر الحسن"... وقد تنافس الخلفاء والأمراء في إنشاء القصور، واهتموا بزخرفها وتمادوا في توسيعها حتى أنّه قيل من وصف إحداها أنّ بها سبعة آلاف خادم، وعدد الحجاب سبعمائة، وعدد الغلمان تسعة آلاف غلام[2].

وكذلك كان الاهتمام ببناء المساجد، وأول مسجد هو المسجد الذي بناه المنصور بجانب قصره "قصر الذهب"، ثم مسجد الرصافة، مسجد الخلافة.... وقد تكاثر التجّار والصنّاع، واكتظت الأسواق بالورّاقين والعطارين، وبائعي الحلي، فكلّ سوق واختصاصه، وكثر المغنون والمغنيات، وأيضا الأدباء والعلماء من كل صنف ولون[3].

وبقيت بغداد حاضرة الخلفاء العباسيين حتى عهد المعتصم الذي "استكثر في عسكره من الترك، وآذوا العامة بما كانوا يجرّون من خيلهم في الأسواق والشوارع، فكانوا يرصدوهم ويقتلونهم"، فبحث عن موضع آخر حتى انتهى إلى "سامراء" شرقي "دجلة" وأسماها "سر من رأى" وضربت النقود باسمها، وقد أحضر المهندسين والصناع من مختلف الأمصار، فبنى قصره المسمى "الجوسق" وبجواره مسجدا كبيرا ودور للدواوين ولرجاله وأتباعه، واختط الدروب والشوارع، وأكثر الأسواق باختصاصاتها، وكثرت المتنزهات والملاعب[4]، وظلّ الخلفاء بها بعد المعتصم حتى سنة 276 إذ تحوّلوا إلى

---

[1]– ينظر طه الراوي –بغداد مدينة السلام–نصر القاهرة 2012 ص83 إلى 86.

[2]–ينظر طه الراوي/بغداد مدينة السلام ص83 إلى 86 .

[3]–ينظر شوقي ضيف /العصر العباسي الأول ص17.

[4]– ينظر المسعودي (أبي الحسن بن علي المسعودي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة2005، ص44–45.

بغداد، فأسرع الخراب إليها، وما إن أطلّ القرن الرابع حتى أصبحت أطلالا،إلا ما كان من مسجدها الذي تأنق المعتصم في بنائه[1].

أما فيما يخص السياسية والإدارية للدولة العباسية فقد بلغ الفرس مرتبة عالية في تنظيم الحكم، حتى أنّ العرب استعانوا بهم في إدارة شؤون الخراج وجبايته، ثم أنّه في العصر العباسي وجدنا النظم الساسانية الفارسية تنتقل بحذافرها في كل شؤون الحكم وراثيا، فقد عدّوا أنفسهم ورثة الخلافة الشرعيين[2]،واتخذوا من علماء الفقه والكلام سندا لهم فيما يزعمون، وهو زعم باطل، ورأوا أنفسهم أحق بإرث الرسول صلى الله عليه وسلم،وأخذوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من التقديس، فكان لهذا أسوء الأثر في خنوع الناس وخضوعهم للظلم والفساد، حتى الفقهاء والأتقياء الذين عارضوا بني أمية في تهافتهم على الدنيا وظلمهم انصاعوا انصياعا أعمى للعباسيين، ورأوهم رؤساء شرعيين للأمة، مما قوى تشبثهم ورؤيتهم على أنهم أحق بالخلافة، فوضعوا لأنفسهم أنظمة معقّدة تضفي لهم الهيبة والرهبة وسط الرعية، فأكثروا الحجاب على أبواب قصورهم، فلم يعد بإمكان العرب الدخول على الخلفاء كلما أرادوا كما كان الشأن في عصر بني أمية، بل عليهم بالاستئذان من الحجّاب الذين كانوا أكثرهم أعاجم،والذين احتكروا شؤون الحكم، كما أخذوا عنهم نظام الوزارة[3]،التي لم تتمهّد قوانينها وتتقرّر إلا في دولة بني العباس، فكلمة"وزير" أطلقت في بداية هذا العصر على المستشار الأول للخليفة في إدارة شؤون دولته، وهو ما عملت به بني سيسان، فكان الوزير وسيطا بين الملك وشعبه، فيساير الملك أو الخليفة من جهة ويساير الرعية من جهة أخرى، وقد كثر الوزراء الفرس في هذا

---

[1]– ينظر شوقي ضيف/العصر العباسي الأول ص18.

[2] – ينظر رفيق المهايني، تاريخ الخلافة الأموية والعباسية، ص113 وما بعدها.

[3]– ينظر وأبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، جامعة كويت، ط1، دار ابن قتيبة، 1989م، ص30–38 .

العصر، إذ تقلّدوا المناصب وترقّوا إلى أعلاها[1] وأول وزير اتخذه العباسيون وزيرا منهم "أبو سلمة الحلال"،ولما توفي خلفه "خالد بن برمك" الذي رافق أبي مسلم في حروبه ضد بني أمية، فلم نجد للعباسيين وزيرا غير فارسي، وهو أمر طبيعي، فحكموا وتمادوا في حكمهم، فقد كان يحي البرمكي يحكم في الرعية كيفما شاء،فينصب أو يعزل من شاء، فقلّد ابنه "الفضل" المشرق كلّه، وابنه"جعفر"المغرب كلّه، وبقي يحي وأبناؤه يتحكّمون في زمام الدولة تسعة عشر عاما، فصبغت الدولة بالصبغة الفارسية الخالصة؛إذ رسّخوا تقاليدهم حتى في أزياء رجال الحاشية والموظفين، وفجأة انقلب عليهم الرشيد فحبس من حبسه، وقتل من قتله لأسباب غير واضحة[2].

فقد كان الحكم استبداديا يتسلط فيه الحاكم بأوامره كيفما شاء، فيولي الوزراء والقوادوأمثالهم، ويعزلهم جميعا إن أراد، وكان الخليفة يستقبل من يدخل عليه وكبير حجابه في جانب، وفي جانب آخر كبير حراسه معروف باسم "الجلاد"، و"الناصع" دائما أمامه، فمن غضب عليه أطاح برأسه توا، ويختار الولاة والقواد من أهل بيت الحاكم أو من أكفّاء حاشيته خاصة الأعاجم منهم[3].

وقد اعتمدت الدولة في تسيير شؤونهاعلى نظام الدواوين الذي أصبح له موظفين خاصين به في العصر العباسي، فكان لهؤلاء الموظفين شأن كبير في الدولة، والمسند والخشبة والوسادة هي أدوات كانت تستخدم في الكتابة والجلوس في الميدان، ويرجع الفضل لتنظيم إدارة الدواوين في العصر العباسي الأول لخالد بن برمك، فكان يفترض بالدواوين أن تسجلفي صحف، فكان خالد أول من سجلها في دفاتر، وهو أول من أشار

[1]–ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص23.

[2]–ينظر المرجع نفسه ص23–25.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص21.

على السفاح بعد هزيمته لأبي مسلم الخراساني بأن يُسقط من لم يكن من أهل خراسان من ديوان الجند، فأسقط عددا كبيرا منهم[1].

وقد اتسع الخلفاء في محاكاة الدواوين الساسانية، فأصبح لكل ولاية ديوان خراج خاص بها[2]ثم تجمع كل هذه الدواوين وترسل إلى بغداد، ومجموعها يسمى ديوان "الزمام" أو "بيت المال" أو "ديوان الأزمة"[3]،وتنوعت الدواوين حسب صلاحياتها، منها ديوان الجند الذي كان يعنى برواتبهم، وديوان الخلافة يقوم على نفقاتها، وديوان الرسائل الذي لعب دورا كبيرا في نهضة النثر العربي، وديوان ختم الرسائل، وديوان التوقيع الخاص بالمظالم....[4] وديوان البريد'الذي يحمل أخبار الولايات من أحداث وأسعار، فتنقل على جناح السرعة للخليفة.[5]

رغم نجاح ثورات العباسيين التي خاضوها ضد بني أمية وتوليهم زمام الحكم، وازدهار الحياة وقتها على جميع الأصعدة، إلا أنّهم بعد ذلك عانوا بظهور تيارات فكرية تريد الاستيلاء على الحكم ،وتزعم هي الأخرى بأحقيتها له، أهمّها الشيعة والخوارج[6] .

---

[1]– ينظر حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ط2، مركز الإسكندرية للكتاب، 2004، ص153 .

[2]– ينظر سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب في العصر العباسي الأول، ج3، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص295.

[3]– ينظر الطبري(عبد العزيز الطبري بن حرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، المعارف، القاهرة، ج8، ص143.

[4]– ينظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الأول، النهضة المصرية، القاهرة، ج2، ص204–205 .

5-6- ينظر المرجع نفسه .ص26–27

ثانيا /الحياة الاجتماعية:

لما فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر ورثوا ما في الأولى والثانية من الحضارات الساسانية والكلدانية والأرامية، وما في الثالثة والرابعة من حضارات بيزنطية وسامية قديمة ومصرية، وأخذوا يكوّنون من ذلك كلّه ومن تراثهم حضارتهم الإسلامية، فتغلّبت على الأمويين بدمشق الحضارة البيزنطية، أما العباسيون وبعد نقلهم لحضارة الخلافة إلى العراق فغلبت عليهم الحضارة الساسانية وعلى ما كان بها من عناصر كلدانية وآرمية، وهذا ظهر جليا في بناء بغداد، إذ أقامها المنصور مستديرة، وبنى فيها قصره المعروف "بقصر الذهب" على طراز قصورهم الفخمة، فبنيت الدور والقصور والقاعات الكبرى والدهاليز، حتى الشرفات والنافورات.... على طراز تلك الحضارات بنقوشها وزخرفتها وزركشتها... إذ كانت مصاريع الأبواب تصنع من الخشب المنقوش والنوافذ بالزجاج الملون، وتنقش الحيطان المستوحاة من الطير والحيوان والأشجار والأزهار، وقد تحلّ محل الحيطان والأبواب والسقف الستائر المزركشة، أما الأراضي فكانت تعجّ بالبسط الإيرانية والآرامية والتحف الثمينة والتماثيل والأواني المرصّعة بالجوهر[1]...

فكان هذا البذخ يتمتع به الخلفاء وحواشيهم والوزراء وكبار رجال الدولة، وما اتصل بهم من شعراء ومغنيين وعلماء ومثقفين، ويبقى الشعب للعمل والمعاناة، ليوفر لهؤلاء النعيم ويتجرع هو كأس الظلم والشقاء ، بسبب ظلم الخلفاء العباسيين وحرمانهم للشعب من حقوقهم، واحتقارهم لهم ومن على شاكلتهم، واحتكارهم للأموال الضخمة، فعاشوا البذخ والنعيم وعاش الآخرون (عامة الناس) حياة الفقر والعوز، واضطرب أوساط الناس من التجاروغيرهم بين الشقاء والنعيم [2].

[1]– ينظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي.

[2] – ينظر جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ط بيروت، 1965، ص422 ص192.

فقد امتلأت وقتها خزائن الدولة عن آخرها، فحملت لها الذهب والفضة من أطراف الأرض، إذ يقال أنّ دخل بيت المال سنويا عهد الرشيد نحو سبعين مليونا من الدنانير[1]، فهي أنهار متدفقة صبّت في حجور الخلفاء والوزراء والقواد والعلماء والشعراء والمغنيين، حتى يقال أنّ المنصور فرض لكل فرد من أهل بيته ألف ألف درهم في كل عام[2]، وبان هذا البذخ واضحا في مأكلهم ومشربهم ولباسهم ومجالسهم وسمرهم وسهرهم ، أمّا ولعهم ببناء القصور فذاك أمر آخر، إذأخذوا يهيمون بإقامة القصور وزراعة البساتين الفوّاحة، وبينها أحواضالسباحة وحدائق الحيوان ،فقد بنى أبو جعفر المنصور قصره المسمى " قصر الذهب" وأيضا " قصر الخلد" ، و"قصر الرصافة"، وبنى الخليفة المهدي "قصر الوضاح"و" قصر السلام "[3]، ونجد المتوكل قد بنى عددا كبيرا من القصور منها "البركة"و"الوحيد"و"البهو"و"القلائد"و"التل" و"المختار"و" البرج" وغيرهم...[4]، ومن قصور المعتز" الساج" و"الكامل"،ومن قصور المعتمد "المشوق "و"الأحمدي" و"المعشوق"[5]، وكان المعتضد وابنه المكتفي محبين للعمارة،فبدأ أولهما في بغداد بناء قصر" التاج" وأتمه الثاني وقد أدار حوله سوارا ،واتخذوا حوله المنازل والدور، كما بنى المعتضد قصر" الثريا"[6]، فكم تكلف الأبنية ومن أين الأموال الطائلة التي تسمح بصنع تلك الفخامة والضخامة والسعة والأبهة ؟ إنّها الأموال التي يكتنزها الخلفاء من خزائن الدولة

---

[1]– ينظر احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ط1، مطبعة الاعتماد بشارع الحسن الأكبر لصاحبها محمود الخضري، 1933، ص01

[2]– ينظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج6، ط4، دار المعارف، 1964، ص327.

[3]– ينظر طه الراوي، بغداد مدينة السلام، ص 83–86.

[4]– يينظر ونس السامراني، سامراء في أدب القرن الثالث هجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968، ص134

[5]– ينظر المرجع نفسه، ص 272–283.

[6]– ينظر جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، ص109.

ويحرمونها على الفقراء، أولئك الأغنياء الذين تهافتوا على جمع الأموال، ولم يترددوا في إرهاق الأهالي وإثقالهم بالضرائب حتى يستطيع هؤلاء المترفين العيش في نعيم دائم[1].

فقد تهاطلت الأموال والأرزاق بقوة، وطالت حتى المغنيين والشعراء الذين وصلوا إلى الثراء الفاحش ،إذ صار لإبراهيم الموصلي المغني أربعة وعشرون مليون درهم عدا راتبه الجاري وهو عشرة ألاف درهم في كل شهر، وقيل إن الخليفة المهدي كان شغوفا بالجواهر، ويقال أنه أهدى جارية له تسمى "دنانير" عقد من الياقوت قيمته ثلاثين ألف دينار[2]،ومن أثمن ما ملك الخليفة الرشيد من الخواتم الثمينة هو فص الياقوت الأحمر، يقال إن ثمنه ثلاثمائة ألفدينار[3].

وقد تنافس الخلفاء في إغداق الأموال على حواشيهم، كذلك الوزراء ورجال الدولة على الشعراء والعلماء والمغنيين، فأصبح لكل منهم مبلغا معتبرا في كل شهر، أو في كل سنة غير العطايا، فكثر الترف والنعيم والاهتمام الكبير باللباس الأنيق، والقصور والدور المزخرفة والفرش الوثيرة، والمطاعم والمشارب من كل لون وصنف، وطبعا كان لذلك كله الأثر الواسع في النهضة بالعلوم والآداب والفنون، وقد زاد البذخ والاهتمام بالنعيم حتى قيل أن بمجلس الواثق دار مليئة بالوشي المنسوج بالذهب، وينوّه المؤرخون بأناقة المعتصم، حتى قيل أن ثيابه كانت تتشبه بالزهرة لتألقها،وأنّه ألبس جنده وقوّاده ألبسة منسوجة بالذهب مرصّعة بالياقوت[4].

---

[1]– ينظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي في العصر العباسي الثاني، مكتبة النهضة المصرية، 1949، ج3، ص416

[2]– ينظر أنور ريحان محمد بن احمد البيروني، الجماهير في الجواهر، تحقيق يوسف الهادي، ط1، طهران، 1995، ص142.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص137 .

[4]– ينظر جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين الحميدة، ط1، مصر، ص326.

كما شاع الترف في الملبس والبنيان وأنواع العطور، فلبست كل طائفة من كبار طوائف الموظفين ورجال الدولة زيًّا خاصا بهم، يميّزهاعن الطوائف الأخرى، وكان المنصور أول من دفع إلى ذلك[1].

وكان الشعراء يلبسون الوشي والمقطعات الحريرية[2]،أما المغنون فيلبسون الديباج والخز،واستكثروا أنواع العطور والطيب الغالية،والمسك والعنبر والكافور والروائح المستخلصة من البنفسج والنرجس وغيرها من الأزهار، وقد بالغت النساء الحرائر منهن والجواري في زينتهن وأناقتهن، فلبسن الحرير وتزين بالحليّ والجواهر تيجانا وأقراصا خلاخلا وعقودا وقلائدا، هذا كلّه على حساب العامة المحرومة[3].

وقد حظي العلماء بمكانة عالية لدى الخلفاء بمختلف اختصاصاتهم، فقرّبوهم من مجالسهم الأمر الذي ساهم في زيادة نشاطهم وحصولهم على الأموال الطائلة،وكان الخلفاء والوزراء والولاة يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنيين،إذ منح المهدي يوما لمروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على مدحه له، وأطربه مغن فأهداه سبعمائة ألف دينار، وكذلك كان يفعل مع كل من يطرب لصوته، وكان الرشيد بحرا فياضا ينهل منه العلماء والفقهاء من أمثال قاضيه أبي يوسف الأصمعي والكسائي، والأطباء من مثل ميخائيل بن يختيشوع....وكان يجزل الشعراء من نواله، أما مغنيه الأقرب له هو إبراهيم الموصلي، إذ يقال أن صلاته له تجاوزت مائتي ألف دينار[4]....

كما نافسهم الوزراء في هذا البذل، وللبرامكة فيه ماليس لأحد، فقد كانت خزائن الدولة بأيدي يحي البرمكي وولديه جعفر والفضل عهد الرشيد،فملأوا منها أيدي العلماء

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص49.

[2]– ينظر الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، سنة 1998، ج3، ص 45.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص50–51.

4- ينظر المرجع نفسه .ص46–47

والأطباء والمترجمين والشعراء والمغنيين...[1] ويروى عن زواج المأمون ببوران بنت وزيره الحسين بن سهل أنّه أنفق فيه مايفوق أغرب القصص الخيالية وأعطى المأمون بوران ألف ياقوتة وأوقد لها شموع العنبر وبسط لها حصيرا منسوجا بالذهب مكلّلا بالدرر والياقوت[2].

وقد هيّأ هذا الترف لنشوء طبقة وسطى في بغداد ومدن العراق من التجار، فكانت سفنهم وقوافلهم غادية ورائحة في البحر والبر، تجلب السلع النفسية من جميع أنحاء العالم، أما الصنّاع فكانوا يتفننون في صناعة التحف الثمينة، فيتجمع جميعهم في الأسواق حيث تتجمع كل الطوائف في سوق أو شارع، وكان أكثرهم ثراءً البزازين والعطّارين وتجّار التحف النفيسة ،ومن أهم الجوانب التي يظهر فيها بذخ الطبقة المترفة مطاعمها ومشاربها، فقد طعموا وشربوا في أواني الذهب والفضة والزجاج المنقوشة والمحفورة، حتى أن الطهاة قدتفنّنوا في صناعة ألوان الطعام والشراب، وكانوا يسمون باسم مايعيدون من أطعمة، خباز، شواء، طباخ... وفي كتاب الجاحظ "البخلاء" حشد كبير من الأطعمة والشراب وهي في معظمها فارسية [3].

ومن كثرة البذخ واستعمال أفانين الطهاة في الأطعمة يروى أن مائدة المأمون ضمت يوما ثلاثمائة لون من الطعام، وكانوا يغسلون أيديهم بعد الأكل بألوان من الطيب الغالية والعنبر[4] ، ويقال أن المأمون كان ينفق على طعامه يوميا ستة آلاف دينار،وكان وزيره ينفق يوميا ألف درهم، وهو نفس المبلغ الذي ينفقه إبراهيم الموصلي يوميا على طعامه وطيبه[3]، وعلاوة على ذلك الترف كان لكل الخلفاء والوزراء ندماء يقومون بصنوف

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ، ص46–47

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 49.

[3]–ينظر المرجع نفسه .ص50–51

[4]– ينظر المرجع نفسه .ص 49

[3]– ينظر أبو الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص284.

الكلام والسمر، ويوردون أحاديث وأخبار العامة ونوادرهم وبعض الحكايات، والطرف الأدبية والفكاهات، حتى يخفّف على قلب منادمه فيحظى بقربه، وكثير منهم من يعتل منصب الوزارة بما كان يحسن التبسط للخليفة[1].

كما أنّه كانت لهم ميولات للّعب كثيرة، منها سباق الخيل، وسباق الحمام الزاجل، ولعبة الصولجان، وهي كرة تضرب فوق الخيل، ومحادثة الديوك، والكباش، والكلاب، ومن ذلك لعب أبي نواس بالكلاب والذي أتاح له التفوق في وصفها بطردياته[2]،ومن مظاهر اللهو التي فتن بها الخلفاء "الصيد بالبزاة،والشواهين،والصقور ،والكلاب والفهود" وقد أولع المهدي بالصيد،فكان يخرج إليه في مواكب كبيرة ومعه حاشيته وحرسه،وشغف بالصيد كل من جاء بعد المهدي من الخلفاء[3]، وكان يشغف به الفضل بن يحي البرمكي شغفا شديدا[4]،أما العامة فكانت لهم ملاهيهم، في مقدمتها تجمعهم حول قصاصين يطرفوهم بحكايات خيالية، أو الحكائين الذين يحكون في رقّة لهجات سكان بغداد ونازليها من مختلف الجنسيات[5].

أما بالنسبة للرقيق، فقد كثر الرقيق لكثرة الحروب، فكثر الأسرى وبالتالي انتشرت تجارته وعظمت، حتى كان في بغداد شارع يسمى شارع الرقيق، وكان يقوم عليه موظف يسمى قيِّم الرقيق، وكان الرقيق حينئذ يجلبون من بلاد الزنج وإفريقيا الشرقية، ومن الهند وأواسط آسيا وبيزنطيا وجنوبي أوروبا، وكان الزنوج يعملون في الفلاحة غالبا، أما غيرهم فكانوا يقومون بالأعمال اليدوية، والخدمة في المنازل والقصور، ثم أنّ الكثير منهم كانوا يحرَّرون لدعوة الإسلام لتحرير الرقيق، وقد يصل منهم إلى أرفع المناصب في الدولة،

---

[1]– ينظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ب ط، دار الكتب، ص164.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص54.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 54.

[4]– ينظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص284.

[5]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص55.

مثل الربيع بن يونس مولى المنصور وحاجبه ثم وزيره، وقد استكثر الرشيد منهم حتى أنّه سار يوما ومعه أربعمائة منهم، كماعرف المعتصم بشغفه بالرقيق التركي، وبقي يشتريهم من مواليهم ومن النخاسين حتى كان لهآلاف منهم، فاضطرّ إلى أن يبني لهم[1].

كما شاع بينهم الخصيان، ولتحريم الإسلام له فقد انتشر آنذاك بين البيزنطيين وغيرهم[2]،وما إن نصل إلى العصر العباسي حتى كانت قصور بغداد وغيرها من البلدان تعجّ بهم، غير أنّ المسلمين لم يكونوا يقومون بهذا العمل البغيض، إنّما يقوم به اليهود والنصارى متحملين وزره[3]. وقد اشتهر الخليفة الأمين بحبه لهم حتى أصبح حديث العام والخاص[4].

كان رقيق النساء من الجواري أكثر عددا من رقيق الرجال، فاكتظت بهنّ الدور والقصور،إذ أحلّ الإسلام للشخص أن يمتلك من الإماء والجواري ما شاء بينما قيد حريته ناحية الحرائر،فلا يزيد عن أربع، وكان الرجال عامة يفضلونهن عن الحرائر لأنهن من جنسيات مختلفة، فارسيات وحبشيات وخراسانيات وتركيات... من ثقافات وديانات وحضارات مختلفة، ولأنهن معروضات في دور النخاسة، مظهرات جمالهن للعيان–وهو ما نشر موجه الفساد– غير أن الحرائر متحجبات لا يرون لمن يريد الاقتران بهنّ، وهو ما أشار إليه الجاحظ في رسائله، ولهذا امتلأت القصور بالرقيق، وأثرن أثرا كبيرا في أبنائهن ومحيطهن، وامتد ذلك إلى قصر الخلافة، فقد كان أكثر الخلفاء من أبنائهن، إذ أن المنصور أمه حبشية،والهادي والرشيد أمهما "الخيزران" "رومية" والمأمون أمه "مراجل" "فارسية" 1...

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ، ص56.

[2]– ينظر ستيفن رنسيمان، حضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ط2، ص 243.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 56–57.

[4]– ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص 101–110.

وقد كثر الرقيق في القصر منذ عصر المهدي، وقد أكثر الرشيد وزوجته زبيدة من الجواري حتى قيل أنّه كان لكل منهما زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ من الثياب والجوهر[1]،كما شغف الرشيد بهنّ وبقربهنّ[2]، واكتظ القصر الأمين بالجواري والغلاميات اللائي يلبسن لباس الغلمان، وزخر قصر المأمون بالجواري المسيحيات، وكذا قصر المعتصم والواثق[3].

ويفيض كتاب الأغاني بأخبارهن في دور النخاسة والقيان، ويصور كيف يستملن قلوب الشعراء، وكثيرا ما يقع في حب جارية في قلب شاعر، فيصعب عليه التخلص من الأمر، وهكذا كان دور النخاسة معرضا للجمال، وهي معارض ظلّت مفتوحة ليلا ونهارا،يجمع فيها الفتيان من الشعراء وغيرهم، ويتغنون بالجمال ومفاتنه، كقول أبو دلامة:

إِنْ كُنتَ تَبغِي العَيشَ حُلوًا صَافِيًا فَالشِعر أَعزِبْه وَكُن نَخَّاسَا

تَنَلِ الطَرَائِفَ من ظِرافٍ نُهَّدٍ يُحدِثنَ كلّ عشِيَّةٍ أَعراسَا[4]

وهي أعراس ظلّت قائمة طوال العصر، وظل الشعراء يختلفون إليها[5]،وقد يشتري الخليفة أو الوزير أو أحد أعيان الدولة جارية، فيظل الشاعر متعلقا بها، كما جرى لأبي العتاهية مع "عتبة" إحدى جواري المهدي، وأبي نواس مع "حنان"جارية الثقفي، والعباس بن الأحنف مع "فوز" جارية محمد بن المنصور... فكانت أغلبهن يتثقفن بفنون الآداب، وقد أضفن إلى جمالهن عذوبة الحديث، فجذبن عقول وقلوب الشعراء وغيرهم، وربما نجد منهن من يتقن نظم الشعر مثل "عنان" جارية "الناطفي" و"سكن" جارية "محمود الوراق"

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج10، دار الكتب، ص172.

[2]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص58.

[3]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص288.

[4]–أبو دلامة، الديوان، ص69، تأليف على أحمد بكثير، دار مصر للطباعة، مكتبة الإسكندرية، ص69.

[5] – ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 59.

... أو منهنّ من أجادت الغناء ،فكنّ فتنة من فتن العصر على نحو ماكانت "دنانير" جارية "البرامكة" أو "عريب "جارية "الأمين والمأمون"... [1]

وقد كان للغناء الأثر البالغ على الناس في هذا العصر، فقد شغلوا به وجعلوه نعيم دنياهم الذي لا يضاهيه سواه في نفوسهم، حتى أقيمت له دار كبيرة للغناء وهبّ الناس إليها من كلّ فجّ، ونثرت عليها الأموال نثرا، وأوّل من عني به من الخلفاء المهدي، ثم اقتدى به الهادي، وخلفه الرشيد الذي جعل المغنيين مراتب وطبقات، كما قد كان الواثق أشدّ كلفا بالغناء لإحسانه الضرب على آلاته[2]،ومن أبرز المغنين آنذاك "إبراهيم الموصلي" وأيضا "ابن جامع" مغني الرشيد، الذي يقال عنه أنّه حلو الطرب، فكان الهادي من المولعين لسماع غنائه ورقته،إذ أعطاه مرة لصوت غناه ثلاثين ألف دينار، وقد سمعه أبو العتاهية، فقال:"يا دواء المجانين لقد رققت حتى كدت أن أحسوك، فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك أدما ولو كان شرابا لكان ماء الحياة"[3]والمغني "إسحاق الموصلي" وقد تلقى الغناء عن أبيه إبراهيم والضرب على العود عن زلزل، وقد استطاع أن ينتقل بالغناء إلى حد الطرب وأكثر[4]،ومنهم أيضا "مخارق" الذي جعل الناس يبكون لجمال غنائه، وأيضا "علوية" إذ قال فيها الواثق:" غناء علوية مثل نقر الطست يبقى في السمع ساعة بعد سكوته "[5]

وبلغ من هذا الفن وارتفاع شأنه في النفوس أن أقبل أبناء الخلفاء وكبار الدولة على تعلمه وإتقانه، حتى نراهم يضعون ألحانا وأصواتا تنسب إليهم، أمثال "إبراهيم ابن المهدي" وأخته "علية"، وعدّ إبراهيم من كبار المغنيين المحسنين، وله أصوات كثرة. وأيضا

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 59..

[2]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، ج13، ص350.

[3]– الأصفهاني، الأغاني، ساسي، ج21، ص147.

[4]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص60.

[5]– الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، ج11، ص337.

أخته علية التي أجادت الغناء، وقد خلفت فيه ثلاثة وسبعين صوتا، وأيضا من برع في الغناء وأثرت عنه أصوات بديعة فيه:" عبد الله بن طاهر"،"أبو دلف العجلي" قائد المأمون المشهور.[1]

وهذا الغناء هو الذي ملأ الحياة وأمال القلوب، وهو ما رفع ثمن الجواري المسمين بالقيان اللائي كنّ يتقنّه ويتدلعن به، فبيعت الجواري بأغلى الأثمان، إذ يقال أن صالح بن علي عم المنصور اشترى "سعدة" بتسعين ألف درهم، وابن أخيه جعفر بن سليمان اشترى "ربيحة" بمائة ألف، و"الزرقاء" بمائة ألف ثانية[2]، فكثر الاهتمام بتعليم الجواري للغناء لكسب الأموال الطائلة من ورائهن، وكثيرا من هؤلاء القيان والجواري كنّ يحسنّ الرقص[3]،وكانت لهنّ آلات خاصة تستخدم للترنم بالأشعار، وتغنى الوصائف على الطبول، فقد كادت لا تخلو بيت في الكوفة وبغداد ولا حتى البصرة إلا واقتنت قينة، أو قيانا لنشرالمرح في داره، ومن لم يستطع اقتنائها استأجرها ليلة أو ليالي متصلة، فكان الشعراء وغيرهم يختلفون إليهم في دور كبيرة للغناء والموسيقى[4].

وقد كان لهؤلاء الجواري والقيان الأثر الكبير في نفوس الرجال الذين تعودوا التلطفلقلوبهن ويحيطونهن بالكلام الرقيق، وودهنّ وسحر قلوبهنّ بالعطف والحنان، وكان لذلك الأثر الواضح في الشعر والشعراء، فقد تميّزت معاني ألفاظ الشعر بالرقّة المفرطة والإشارة الدالة واللمحة المعبرة، كما كان الأثر نفسه في الأزياء والعطور والسمر[5]،كما اعتنت الجواري بالأزهار، وتغنى الشعراء بها غناء كثيرا، وكان يهدين التفاح لمن يكلفون بهن ويشققه بالمسك وغيرها من أنواع الطيب، وقد يكتبن عليه بعض الأبيات الشعرية

---

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص248.

[2]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص62.

[3]– ينظر المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص161.

[4]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص62.

[5]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأولشوقي ضيف، العصر العباسي الأول،، ص63.

الرقيقة، وقد استغلين أبيات الحب والغزل في أحاديثهن، بل أنهن كن يكتبنهن على المناديل الحريرية وعلى غطائهن، وحتى ثيابهن وأفرشتهن، ويروى أن إحدى واصفات المهدي كانت من ورائه متزيّنة بعصابات نظّمت فيها الدر والياقوت، وكتبت عليها أبيات في صفائح الذهب[1]:

مالي رميت فلم تصبك سهامي ورميتني فأصبتني يا رامي[2]

وكن يتسابقن في التهادي بالتحف النفيسة، فكانت بذلك الجواري والقيان في هذا العصر من العوامل الفعالة في انتشار الترف والرقة في المجتمع العباسي، وبذلك رقّت المشاعر والأحاسيس وأرهفت إرهافا شديدا[3].

ورث المجتمع العباسي –كما أسلفنا الذكر– ماكان في المجتمع الساساني الفارسي من لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دعت إليه الثورة العباسية من حرية مفرطة، فقد أفرط الفرس في مجونهم وتبعهم من عاشرهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة على الرغم من نهي القرآن الكريم عنها، وما زاد انتشاره هو اجتهاد بعض الفقهاء بالعراق إلى تحليل بعض الأنبذة، كنبيذ الزبيب والتمر، ونبيذ العسل، ونبيذ الذرة والتين....[4]،فشربها الخلفاء، وتبعهم الناس الذين أمعنوا في مجونهم، وكان الهادي أول خليفة عباسي أغري بالخمر، ثم الرشيد ومن جاءوا بعده، وربما لم يكونوا بالحد الذي كان

عليه الأمين الذي لم يكن يصحوا من سكره[5]،فقد اتسعت موجة إدمان الخمر عند الخلفاء والعامة وحتى الشعراء، حتى أصبحت من أهم الموضوعات الجديدة في الشعر العباسي،

---

[1]– ينظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ط، لجنة التأليف والترجمة والشرح، ج8، ص128.

[2]– المرجع نفسه، ص128.

[3]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص305.

[4]– ينظر احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص119.

[5]– ينظر ابن المعز، طبقات الشعراء، ت عبد الستار احمد فراح، سلسلة تفاخر العرب، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص210.

وقد اشتهر بها الكثير من الشعراء على غرار أبي نواس، ومن يتتبع أخبارهم عهدها يرى أن الناس جميعا تورطوا في إثمها تورطا على حد كلام الأصفهاني في كتابه الأغاني، حتى أنّه منهم من يسرف حتى يشرب أرطالا دفعة واحدة، فكانوا يكرهون أن يدور الشراب بين اثنين، لعل أحدهما ينهض لحاجة، فيبقى الأخر لوحده ولا يزيد عدد قاعديها على خمسة، حتى لا تكون لون من ألوان الشغب،[3] وفي ذلك يقول أبو نواس:

ثَلاثَةُ فِي مَجلِسٍ طَيِّبٍ وَصَاحِبٌ الدَعوَةِ والضَارِبِ

فَإِن تَجاوَزتَ إِلَى سَادِسٍ أَتَاكَ مِنهُم شَغَبُ الشَاغِبِ [4]

وقد تفنّن الشعراء في وصف نشوتها وآثارها على العقل والجسم، ووصف كؤوسها ومجالسها وساقيها،وكانوا عادة من اليهود والنصارى والمجوس، وكانوا يزيّنون رؤوسهم بأكاليل الزهور كما تتزيّن قاعات الشراب بالرياحين[5].

ولما كان الخمر متعلقا بالغناء والرقص تحوّلت حانات بغدادوالبصرة والكوفة إلى حانات كبيرة للشرب والرقص كل مساء، ومن أشهر تلك الدور: دار"ابن رامين" بالكوفة التي كان يختلف إليها "مطيع بن إلياس" و"ابن المقفع" و"ابن زائدة"[5] ، ودار "إسماعيل

3- ينظر الجاحظ) ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ.تحقيق عبد السلام محمد هارون.الحيوان.ج2.ط2. 1965 ص226

4-أبو نواس(الديوان) طبعة الاطفاف .ص 356

5- ينظر ابن المعتز.طبقات الشعراء ص206

القراطيسي" ببغداد، التي كانت ملاذا لأبي نواس والحسين بن الضحاك وأبي العتاهية وغيرهم من الشعراء[1]...

وقد أدى ذلك إلى الانحطاط في الأخلاق،وتعاطي الناس المسكرات سرا وعلنا، وعاقر الخمر عدد من الخلفاء وعقدت مجالس الشرب التي تسمى مجالس الأنس لمعاقرة الخمر والغناء،كما أنّ البساتين الموجودة بضواحي بغداد، كانت تمتلئ بالحانات التي يزورها الشعراء، وكانت الأديرة هي الأخرى تقدّم لزوارها الخمر المعتّقة، فكثرت دور المجون واللهو كثرة مفرطة، فكثرت أشعار الخمر والمجون. حتى أن الكثير من دور الشعراء تحولت إلى دور مجون ولهو كدور" مطيع بن إلياس" ورفاقه في الكوفة، و"دار بشار"، ودار" أبي نواس"[2].

كما أنّه كانت هناك أيام يخرجون فيها بقوة للهو والعبث والمجون، وهي أيام أعياد المسلمين والفرس والنصارى،التي تأخذ شكل كرنافالات عظيمة، فيكثر فيها الشرب والهرج واللهو المباح وغير المباح، وخاصة في أعياد الفرس والنصارى التي كانت كثيرة.[3]

وقد أدى كثرة إدمان الخمور إلى الكثير من المجون والعبث والإباحية المفرطة، إضافة إلى أن المجتمع كان يحمل مزيجا من الزنادقة والملاحدة والمجوس وغيرهم، وقد أطلقوا العنان لأنفسهم في ارتكابهم للآثام متحرّرين من كلّ دين أو خلق أو عرف، فنشطت الجواري والقيان في جذب قلوب الرجال بكل الطرق، فلم يعرفوا الاحتشام ولا

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ساسي، ج20، ص89.

[2]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص68.

[3]– ينظر ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 88.

التحفظ، سالكين كل وسائل الإغراء والفتنة، إذ لم تكتف إحداهنّ برجل واحد،بل تتعداه إلى ثلاثة أو أربعة أو أكثر، وقد وصف الجاحظ هذا الأمر[1].

كما أدّى هذا المجون وانتشاره إلى انتشار الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة المرأة ولا الرجل جميعا، إذ لم يهتموا بتصوير المرأة والإطاحة بكرامتها فقط، بل يذكرون المرأة وربما يدفعونها إلى الفجور، فكانت أشعارهم عاهرة على نحو ما نجد عند "مطيع بن إلياس" وبشار الذي نادى للغريزة الجسدية فخالف كل القيم والأخلاق وداسها، حتى وقف الوعاظ أمثال واصل بن عطاء في وجهه وسمع بذلك المهدي، فهدّده[2]،غير أن تدخل المهدي كان متأخرافقد عمّ طوفان هذا الغزل في البصرة والكوفة وحتى بغداد عند أبي نواس وأضرابه،ورغم كل هذا المجون إلا أنّ إباحة الإسلام لتعدد الزوجات للرجال ومنحهم حقهم للتسري بالجواري قد خفف من حدة الفساد،كما أنّ هذا الفساد لم يكن عامة، إنّما ظهر بقوة عند بيوت النخاسين والمغنيين، ومن يغدون عليها من الفتيان والشعراء للشرب والمجون[3].

كما انتشرت عند هؤلاء المجان آفة أخرى هي التعلق بالغلمان، وكان أول من اشتهر بها "والبة بن حباب"[4]،وربما يحمل وزر إفساد أبي نواس فيها، وربّما حتى وزر العصر،إذ يحط ويدهس كرامة الشباب والرجال دهسا، ولعل انتشار الغلمان والخصيان في بغداد وغيرها من أسباب شيوع هذا الغزل المقيت، حتى أنّه كان منهم من يلبس لباس النساء،وتلبس الجواري لباس الغلمان، ويروى أن الأمين كان يقدّم الخصيان، فشاع ذلك عنه، ولما رأت زبيدة ذلك بعثت له بعشرات من الجواري ألبستهن لباس الرجال حتى

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص71.

[2]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص182.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص73.

[4]– ينظر الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، دار الفكر، دمشق، 1968، ج3، ص220.

ينصرف عن ذلك الطبع، وقد سميت بالغلاميات، وقد عمت هذه البدعة بالحانات[1]،وانتشر التبادل بين الجواري والخصيان في اللباس والهيئة، فوجد المخنثون بين المغنيين وضاربي الدف[2].

نادي الإسلام بهدف محو الفوارق العصبية والجنسية بين الشعوب، حتى تسود الوحدة بينهما، فتتساوى حقوق أفرادها وواجباتهم، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى:(ياأَيُّها النَّاس إِنَّا خَلقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعلنَاكُم شُعُوبًا وَقبَائِل لِتعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ الله أتقَاكُم)[3]،غير أنّ هذه العصبيات لم تلبث إلا أن ظهرت من جديد، فقد انحرف الأمويون عما جاء في الدين في معاملة الموالي، إذ أثقلوهم بالضرائب، وأنقصوا حقوقهم، إلا في عهد "عمر بن عبد العزيز" الذي كانت فترة حكمه قصيرة، مما جعلهم يكرهون العرب، فشاركوا الخوارج والشيعة في الثورة عليهم، وتفاخروا بنسبهم الفارسي وعظم حقدهم ،حتى أنّه التفت حولهم جماعات كثيرة مناصرين للعباسيين، ثم تسلّلوا في جيش العباسيين حتى وصلوا إلى مناصب الدولة العباسية العليا، خاصة عهد الرشيد والمأمون، فظهرت ما يسمى بـ"الشعوبية"*، الذين يفتخرون بنسبهم الأعجمي، وهناك من حتى أحبّوا لغاتهم ودولتهم فيما بعد،وقدّموا الشعوب الأجنبية على العرب ،فتنقّصوا قدرهم وصغّروا شأنهم، منهم المجّان، فقد أعجبتهم الحضارات الأجنبية وما تبعها من مجون، وآخرون معتدلون ساروا بين العرب والعجم، وأشدّهم عنفا وغيضا من العرب الملاحدة الزنادقة، الذين كانوا يكرهون الدين الحنيف وكل ما اتصل به من عرب وعروبة، فرأوا في العرب أنّهم مجرد بدو ورعاة أغنام وإبل، ليست لهم حضارة ولا ملك ولا معرفة بالعلوم، وأهم شاعر في هذه الفترة أوقد نار الخصومة "بشار بن برد"،الذي كان يعتز

[1]– ينظر المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص244.

[2]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص7.

[3]– القران الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

*– الشعوبية: حركة أو نزعة تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول أن تحط من شانهم(من معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008

بمواليه من قيس، حتى إن كان الانقلاب العباسي انقلب معه يتبرأ من العرب، أما شعوبية أبي نواس فكانت ناتجة عن شغفه بالخمر وعكوفه على المجون[1].

ورغم ذلك بقيت الروح العربية شامخة يدعمها العلماء،وزعماء العرب والفقهاء وعلماء اللغة، ورواة الشعر[2].

وكلمة الزندقة ليست عربية، إنّما هي تعريب لمصطلح إيراني، يعني تعريف ظاهر نصوص الكاتب،وهي القول بأزلية العالم، واتسع معناها ليصل إلى كل الحاد بالدين الحنيف مجاهرة بالفسق والإثم[3].

وقد كان الفرس قبل الإسلام مجوسا، يؤمنون بوجود إلهين، إله خالق كل خير، والآخر خالق كل شر، ويحاسَب الإنسان في الحياة الأخرى بالنعيم أو الجحيم، وأنّ النار مقدّسة لهذا يقيّدونها في المعابد، ثم قالوا بالزواج بالبنات والأخوات، وحرّموا ذبح الحيوان... كما ظهرت دعوة جديدة تؤمن بإله النور والظلمة،وتقديس النور والدّعوة إلى المجون والشهوات، وقد تبعهم الكثير[4].

وقد عامل الإسلام والمسلمون المجوس معاملة أهل الكتب السماويةوظلّت المجوسية حيّة حياة قويّة حتى العصر للعباسي أين اندلعت الثورات، وقد كانت المانوية أخطرها لقولها وأخذها بالزهد من بعض التعاليم المسيحية، وحثّها عن الخلق الحسن، وان ابتعدت عنه بعد ذلك،وقد أنشب المهدي حروبا لأصحاب هذه الملل المجوسية، وحارب الزنادقة أينما كانوا حتى عهد الرشيد، وقد نشط الفرس في نشرها، ونشط معهم الكثير من الزنادقة الذين ترجموا كتب النحل الفارسية والفهلوية إلى العربية، ولم يحاربهم المهدي بحد

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص74– 78 عن البيان والتبيين، ج3، ص147، والحيوان، ج7، ص171.

[2]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص78.

[3]– ينظر مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط.

[4]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 79–80.

السيف فقط بل حتى باللّسان، وهو ما نجده في كتاب الحيوان للجاحظ، وقد قُتل الكثير من رؤوس الزنادقة في هذا العصر، منهم "ابن المقفع"، الذي قتل عهد المنصور، و"بشار" عهد المهدي، ومثلما كان المهدي كان الهادي ثم هارون الرشيد فالمأمون، فكانت البصرة اكبر وكر حينئذ للزنادقة والملاحدة، وتولى الخلفاء قمع وحصد رؤوسهم، ومما لاشك فيه أنّ الخلفاء العباسيين لم يقتلوا الزنادقة إلا بعد ثبوت التهمة عليهم.[1]

وكلامنا عن المجون لا يعني أنّ المجتمع كان منحلا فاسدا، فالزندقة والإلحاد شاعا في طبقة محدودة بين الفرس، أمّا المجون فكان أكثر حدّة، لكنّه كان خاصا بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنيين، أمّا العامة فلا علاقة لهم لا بهذا ولا بذاك ،فهم مسلمون حسن إسلامهم بعيدون كل البعد عن الترف والمجون، بل أنّهم كانوا يعانون البؤس والشقاء، وقلوبهم تتقطع حسرات على ماتحظى به الطبقة المترفة، ساخطون كل السخط على مجونهم وترفهم.[2]

فإذا كانت الحانات والقصور قد اكتظت بالفسّاق والمجّان فان مساجد بغداد اكتظت بالنسّاك والزهّاد وأهل التقوى والصلاح،فكان في كل ركن منها واعظ يبشر الصالحين بالجنة ونعيمها، ويذكّر العاصين بالجحيم وعذابه، فالتحم الوعظ في هذا العصر بالقصص للعبرة، فعاشوا حياة الزهد خالصة مليئة بالعبادة والتقشف مبتعدين عنالملذات والشهوات الدنيوية، أما التصوّف فلم ينضج في هذا العصر،إنّما أخذت مقدماته إلى البروز وتفتحت تباشيره الأولى، أما تكوينه التام فقد حدث في العصر التالي[3].

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 80–84.

[2]– ينظر المرجع نفسه،، ص 83.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 87.

ولابد أن نفرق بين الزهد الإسلامي والمسيحي، إذ أن زهد المسيحيين يقوم على أساس فكرة الخطيئة، بينما الإسلام لايقرّ بهذه الفكرة وما تؤدي إليه من تعذيب النفس،ولارتباط الزهد الإسلامي بالتصوف جرى بجانبه زهد فاسد وهو زهد الزنادقة الذين اعتنقوا تعاليم المانوية على نحو مانجده في أشعار صالح بن عبد القدوس التي تزخر في الترغيب في متاع الدنيا[1].

فإذًا شهد العصر العباسي الأول لونين من الزهد: زهدا إسلاميا خالصا أعدّ للنسك،وآخر مانويا يوصل بينه وبين البوذية[2].

ثالثا /.الحياة الفكرية:

لقد شملت الدولة العباسية أوطانا كثيرة تحمل شعوبا متباينة لغة وثقافة، انصهرت وامتزجت بالتدريج بالعنصر العربي امتزاجا قويا، وذلك بسبب اختلاط العرب بالجنسيات الأخرى والمصاهرة وكثرة الجواري من كل جنس سنديات، حبشيات، تركيات، خراسانيات... ليختلط هذا المزيج الجنسي حتى يغدو وكأنه جنس واحد، حتى قلّ وجود عربي خالص الدم[3].

وقد دخل أكثرهم الإسلام وامتزجوا بالعرب،وعاشوا المساواة معهم في العصر العباسي، عن طريق الولاء الذي شرّعه الإسلام، والذي اتّخذ رابطة شبه رابطة الدم، وأيضا بتحرير الرقيق الذين أصبحوا موالين لأصحابهم وينسبون إلى قبائلهم مثل أبنائهم الأصليين، حتى أنّهم فضّلوهم في تصريف شؤون الدولة، فكان بذلك امتزاجا روحيا،وحتى من لم يسلم منهم اندمج مع العرب في حقوقهم الاجتماعية وحرية الدين، وبالتالي دخل عدد ضخم للإسلام دون عنف، وبذلك استطاع الإسلام أن يحدث امتزاجا قويا بين

[1]– ينظر المرجع نفسه ص 87.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 84–88.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص 89.

العناصر المختلفة المتواجدة في هذا العصر، بامتلاك لغاتهم بتباينها، فلم تملك ألسنتهم إلا بعد أن ملكت قلوبهم، وبعد حوالي قرن من الفتوحات نجد العربية اكتسحت كل الناس في جميع أنحاء بلدانهم،فأصبح الكل عربي، إذ أقبلوا عليها إقبالا منقطع النظير ،وقد أسرع الفرس إلى التعرّب،فاهتموا بتعليم اللغة العربية اهتماما بالغا حتى أتقنوها،فاستعملوها في التعبير عن أفكارهم ووجدانهم ليصبح جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم، وعملوا على دراسة الشريعة الإسلامية، كأبي حنيفة وتلاميذه، وجمع العربية وتدوين أصولها النحوية كـ"سيبويه"، وإحسان صناعة الكتابة كـ"ابن المقفع"، والإقبال على الشعر كـ"بشار بن برد" و"أبي نواس"، وإن كان هذا لا يعني بأنّهم هجروا لغاتهم القديمة مثل الفارسية التي ذاعت حتى بين العرب، فكانت دخيلة على العربية، لكن العربية الفصحى كانت المثل الأعلى للناس في هذا العصر، وضلوا يستعملونها ويحرسونها ويعملون بها، حتّى منهم الشعوبيون والزنادقة، فامتزجت بعناصر مختلفة إغريقية ،وبثقافات البلدان المفتوحة إيرانية وعراقية وخراسانية وهندية[1].

فهذا الامتزاج كوّن ثقافة جديدة، فيها من فلسفة الإغريق وديانات الشرق وروحانياته وأساطيره ومعارفه الفلكية وغيرها، فمزج كل هذا التراث بالمعارف العربية وآدابها، وتأثر العرب بكل هذه الثقافات وأخذوا منها،عن طريق الترجمة ونقل علوم الأوائل والمعارف التطبيقية لهم، مما بات ظاهرا في إنشاء المدن، وضبط الدواوين، وإعداد الجيش وأساليب الزراعة والتجارة، كما كثر جدالهم لأصحاب الملل والنحل، فكثرت المجادلات والمناظرات بينهم، حتى هناك من تحوّل من أصحاب الملل والنحل إلى الإسلام، فتحولوا بتراثهم وثقافتهم إليه، وبإمكاننا القول أن هذه الثقافات انتقلت إلى العربية دون الحاجة إلى الترجمة، لكون أصحابها تحولوا عربا فحولوا ثقافتهم معهم، وقد كان تأثّر العرب بالثقافات الهندية والفارسية واضح،حتى في الملبس والمأكل وبناء القصور، وحتى

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 93.

إشراكهم في الاحتفال بأعيادهم، أما اليونانية والبيزنطية فلم يختلط بهم العرب كثيرا، إلا عن طريق الرقيق، وقد أثّرت اليونانية بقوة على العرب عن طريق النقل والترجمة فقط، دون الاختلاط بأصحابها وكان يشارك في الحياة اليومية أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية، وإن كان النصارى أقرب إلى العرب من اليهود الذين عادوا الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وقد قام النصرانيون بالصناعات المربحة مما دمجهم في حياة الخلفاء، وقد دخل منهم الكثير إلى الإسلام،أما اليهود فاهتموا بالصناعات الحقيرة، وكان منهم الدباغون والصباغون،وقد دخل الكثير من النصارى الإسلام[1].

لما كان الإسلام يهتم بالعلم والمعرفة اندفع العرب اندفاعا قويا إلى العلم والتعلم، فأخذتالعلوم اللغوية والدينية توضح أصولها، وقد أخذ العرب ينهلون من الأمم المفتوحة ثقافاتهم وموادها وينقلونه إلى لغتهم، فانتعشت النهضة، إذ يتعلم المتعلم في البداية عادة مبادئ القراءة والكتابة وبعض صور القرآن، وشيئا من الحساب وبعض الأشعار والأمثال، وأحيانا السنن والفرائض والنحو والعروض[2].

امتازت في هذا العصر البصرة بسوق باديتها المعروف بـ"المربد "فكان منهلا لشباب البصرة،حيث يلتقون بالفصحاء من الأعراب ويتحدثون إليهم تمرينا لألسنتهم، وتهذيبا لكلامهم محاولة في اكتشاف السليقة المصفاة من شوائب العجمية، فيكتبون ما يسمعونه منهم من طرائف الشعر أمثال أبي نواس، ومنهم من يغدوا إلى البادية ليأخذ اللغة والشعر من أصولها كبشار[3]،كما أنّه كانت المساجد هي الأخرى ساحات للعلم، إذ لم تقتصر على العبادة فقط وكثرت حلقات التعليم بها، منها حلقات القصاص أو المفكر آو

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 94–96.

[2]– ا ينظر لجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص219.

[3]– ينظر أنيس المقدسي، أمراء الشعر العباسي، ط17، دار المعارف، أوت 1989، ص101.

2– ينظر شوقي ضيف. العصر الاعباسي الاول .ص 100–101

3– ينظر المرجع نفسه.ص 102

اللغة أو النحو، أو حلقة المتكلم، أما حلقات الفقهاء فكانت أكثر الحلقات، إذ يقصدها طلاب الفقه، ومن يريد أن يتقلد مناصب القضاء أو الحسبة،وكذلك كانت حلقات المتكلمين لكثرة المناظرات والمحاولات بها.2

وهذه الحلقات لا تشترط لمن يحضرها سوى الرغبة في السماع، وقد نتج عنها فئتين، أولهما كثرة الغلمان المتخصصين في كل فن، وثانيهما علماء وأدباء نوعوا معارفهم تنويعا واسعا وسموا بـ"المسجديين" إذ يلتقون بالمساجد للجدال والحوار في أي شيء، وكانت لهم أسواقا في مجالس الخلفاء لتداول طرائف الأخبار والمعارف، وقد أغرقت عليهم الأموال بكثرة على الفئتين،من طرف الخلفاء والولاة وكبار رجال الدولة، وكان المهدي أول من سنّ ذلك، ثم تبعه الرشيد فالمأمون3.

وقد كان هذا الأمر من أهم أسباب ازدهار الحركة العلمية في المساجد، فكل من علت شهرته في الحلقات يستدعي في دار الخلافة أو دار الولاية أو الوزارة، فتهطل عليه الهدايا، وتفرض له الرواتب شهريا –وان كان منهم لا يريد سوى الثواب– وقد لعب استعمال الورق دورا كبيرا في بلوغ الحركة العلمية غايتها في النهضة الواسعة، بعدما كانوا يكتبون في الجلود والقراطيس المصرية، إذ أنشأ الفضل بن يحي البرمكي عهد الرشيد مصنعا ببغداد للورق،فكثر الطلب عليها، لنقل المعارف ونسخها، ثم أقيمت في عصر الرشيد مكتبة ضخمة هي دار الحكمة، وكان الاعتناء فيها بالكتب المترجمة للثقافات الأجنبية، ثم انتشرت المكتبات، وكثر زوارها، وانتشرت ألوان الثقافات والعلوم، وكثر الإقبال عليها، ثم أنشأت دكاكين خاصة بالكتب، تحمل مختلف أصناف العلوم، وماساعد على تطور الحركة العلمية المناظرات التي تقام في مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء[1].

ازدهرت الترجمة ازدهارا كبيرا في هذا العصر، وهذا بفضل تشجيع الخلفاء وإنفاقهم للأموال الطائلة للمترجمين، فالمنصور أول خليفة قرّب المنجمين وعمل بأحكام

[1]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص102–104، عن الجاحظ، الحيوان، ج1، ص61.

النجوم،وقد ترجمت كتب كثيرة في مجالات مختلفة،منها كتاب "كليلة ودمنة"، "السند هند"، وكتب أرسطو في المنطق وغيرها من الكتب...وازدهرت حركة الترجمة أيضا في عصرالرشيد ووزرائه البرامكة خاصة بعد إنشائه لدار الحكمة، وتوظيفه للمترجمين،وجلبه الكتب من بلاد الروم، كما كان للبرامكة فضل كبير في ازدهار هذه الحركة، بنقلهم للكتب الرومية عن الزراعة، وترجمة الكتب اليونانية، ونقل التراث الفارسي،وقد كان المأمون مثقفا ثقافة واسعة وعميقة بالعلوم الدينية واللغوية وبالفلسفة وعلوم الأوائل، فقد اهتم بالترجمة والمترجمين حيث أرسل المترجمين إلى بلاد الروم، فاحضروا مافيها من كتب نفيسة وأقبلوا على نقلها ،وكان يعطي كل مترجم زنة مايترجمه ذهبا، ولقد أكثر في مجالسه من الفقهاء وأهل المعرفة والأدباء وغيرهم، وأجرى عليهم الرواتب، أو حوّل مجالسه إلى مناظرات علمية في مختلف العلوم، فكثر الجدال والنقاش[1]، وأصبح سلطان العقل فوق كل سلطان،حتى في أمور الدين احتكموا إلى العقل لرقي الحياة العقلية آنذاك، فقد كانت المعارف والعلوم وكأنها ملقاة في الطرقات، معرضة لكل الأيدي، في المساجد ودكاكين الوراقين وبالمجّان،فشعراء وعلماء ذلك العصر من عامة الناس كـ" بشار" و"أبي نواس" و"أبي العتاهية"[2]. فكثر في هذا العصر العلماء والأدباء والمترجمين، إذ شغف الخلفاء بعلوم الأمم الأخرى الأجنبية،فأقبل العلماء على التأليف والترجمة، وانقسمت العلوم إلى قسمين علوم إسلامية من شرعية وسياسية وعلوم دخيلة كالفلسفة والطبيعة والرياضة.... ومن مفسري هذا العصر محمد بن جرير،مسلم الطبري[3]،ومن علماء الحديث الإمام البخاري، ومن علماء السنة الإمام أبو زكريا يحي البغدادي[4]، ومن علماء الفقه صاحب

---

[1]– ينظر عبد الستار السيد متولي، أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وتطوره وأشهر رجاله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص33–34.

[2]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص102–104.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، ط2، تاريخ النشر 2012، ص165.

[4]– ينظر أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أجناس من ذهب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، مج1، ج2، ص72.

الإمام الشافعي أبو يعقوب يوسف خالد بن خراش المهلبي البصري صاحب (علوم الحديث)[1]، أما العلوم اللسانية كالنحو والصرف فقد كان هذا العصر عصر عناية بها، فظهر كتاب سيبويه في النحو على مذهب البصريين، وشرحه تلميذه الأخفش، كما ظهر كتاب (الحدود) للفراء في النحو على مذهب الكوفيين[2]، ومن علماء النحو،أيضا نفطويه الذي كان يدرس النحو بجامع المنصور خمسين سنة[3]، أما البلاغة فقد شهد هذا العصر مبدأ تكوينها في كتاب (مجاز القران) الذي ألفه أبو عبيدة ، وأيضا كتاب (البيان والتبيين)للجاحظ،وكتاب (البديع)لابن المعتز[4].

وفيما يخص علوم اللغة فقد حاول العلماء جمع ألفاظها في كتاب بعد أن وضع بعض العلماء رسائل صغيرة في فئات من الألفاظ التي تتصل بموضوع واحد[5]، أما الأدب فقد امتاز بظهور الحياة العقلية فيه وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية، وقد أصبح الأدب في هذا العصر صناعة عقلية في الإنشاء والتأليف، بما ينجلي فيه من إبداع التصوير واتساع الخيال بالمبالغة الشديدة، والإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية، كما اهتم الناس بالفلسفة وعلومها[6].

وقد انتشرت العلوم والثقافة وسط العامة، وأصبحت غذاء لجميع العقول والقلوب، وظهرت صفوة من العلماء والأدباء قادتا الحركتين العلمية والأدبية، فصاغت ونقلت مختلف العلوم الأجنبية وثقافتها، وأضافت إليها ما يدعم حضارتنا العربية[7].

---

[1]– ينظر أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 79.

[2]– ينظر احمد احمد بدوي، البحتري، دار المعارف، ط4، ص16.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص18.

[4]– ينظر احمد أحمد بدوي، البحتري، ص 18.

[5]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص118.

[6]– ينظر حمد عبد المنعم خفاجي، ابن معتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، دار العهد الجديدة للطباعة،ط2، ص32.

[7]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص108.

لقد كان للانتقال الاجتماعي الأثر البالغ على الشعراء أكثر منه على الكتاب،فهم بالخلفاء ألصق ونفوسهم بالترف والعبث أعلق،فقد ضاق بهم الحال في السعي فلجأوا إلى الخيال وقد انطلقت ألسنتهم بالقول فتفرغوا لصياغة الشعر في ضروبه المختلفة، فوجدوا من الخلفاء مؤازرا ومن الحضارة والطبيعة ناصرا، ومن القريحة والسليقة مؤاتاة، فجالوا في الشعر جولة لم تتوافر أسبابها لأسلافهم، ونقلوه من البوادي المجدبة إلى الرياض النضرة، والقصور الشاهقة، والمناظر الفاتنة، فأثّر كل ذلك تأثيرا كبيرا لغة ومعنى، نثرا وشعرا، كتابة وتأليفا، فقد ظهرت التغيرات في ثلاث أمور[1]:

- مايتعلق بأغراض اللغة
- ما يتعلق بالمعاني والأفكار
- ما يتعلق بالألفاظ والأساليب

فأما ما يتعلق بأغراض اللغة فقد تشبه الخلفاء والأمراء والولاة بملوك الفرس في السياسة والمعيشة، وحتى العامة قلدت الأعاجم، فتناولت اللغة أغراضا لم تعهدها من قبل، إذ نقلت علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها، فكان من تلك الأغراض:

- تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية
- الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية
- تأدية مقاصد الصناعات المختلفة
- تأدية مقاصد أنواع الخلافة والسخرية
- المحاضرة أو المناظرة وبحث وجدل وتدريس العلوم

[1]– ينظر احمد الاسكندري، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط5، مطبعة المعارف، 1925 في مصر، ص185–186.

2– ينظر المرجع نفسه .ص 186

- تأدية المقاصد التي استدعاها الترف ولذائذ الحضارة،كالإمعان في وصف الجواري والأفرشة والأطعمة[1]...

وأما ما يتعلق بالأفكار فقد كان للانقلاب السياسي الاجتماعي أثناء هذا العصر الأثر البالغ في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية فظهر ذلك في نثرهم وشعرهم، وتمثل في: – شيوع المعاني الدقيقة والأفكار الجميلة والأخيلة البديعة.

- التهويل والغلو في التفخيم المقتبس من اللغة الفارسية.
- كثرة استعمال القياس والتعليل في الأحكام الفكرية باستعمال الحجج والبراهين، ومذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة.

أما في الألفاظ والأساليب فقد غلب على كتابة العربية أمران عظيمان، السهولة والمحسنات البديعية، ويمثل ذلك في:

- انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة، والتأنق في صوغ العبارات والإكثار من استعمال ألفاظ القرآن الكريم وعباراته والاقتباس منه والاستشهاد به.
- استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء كالأطعمة...
- الإكثار من استعمال الألفاظ المجاز والتشبيه والكناية، والتمثيل والمحسنات البديعية كالجناس والطباق.[2]

1 - ينظر احمد الاسكندري .الوسيط في الادب العربي وتاريخه .ص 186
2- ينظر المرجع نفسه .ص186

- كثرة استعمال الألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء وأصحاب المناصب العالية.
- استعمال السجع بكثرة خاصة النصف الثاني من هذا العصر.
- التطرق إلى الإطناب والإيجاز.

- وضع مصطلحات العلوم والفنون والصناعات.[1]

وقد تأثر الشاعر هو الآخر بعوارض أثّرت في أسلوبه ومعانيه وأغراضه وحتى أوزانه[2]،فأما التأثير في أسلوبه فبهجر الكلمات الغريبة وعذوبة التراكيب ووضوحها، واستحداث البديع والاستكثار منه، وترك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والخمور والغزل، والإكثار من المدح والهجاء والإكثار من التشبيه والاستعارة[3].

وفيما يخص المعاني فقد تولدت المعاني الحضرية(الاقتباس الأفكار الفلسفة إذ أكثر شعراء هذا العصر والدان جنسيتين، ورضاع لغتين أدبيتين، وربائب حضارتين مختلفين)[4]. لهذا ظهرت معاني جديدة عن شعرائهم .

أما الأغراض فتظهر في المبالغة في نعت الخمر ومجالسها،والغزل والمجون، والوعظ والزهد والفلسفة، وضبط العلوم كالنحو وغيره ...

وفيما يتعلق بالوزن فبالإكثار في النظم في البحور القصيرة، وابتداع أوزان أخرى كالمستطيل والممتد[5].

فمثلما كان الشاعر في الجاهلية لسان دفاع وحامي ديار، وفي العصر الأموي داعية ودعامة ملك، وناشر مذهب ومؤيد فرقة، كان في العصر العباسي نديم خليفة، وأنيس كأس، ومجنون غانية، وكان أكثر الشعراء هذا العصر من الموالي الذين أطاعوا

---

[1]– ينظر الاسكندري، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ص187.

[2]– ينظر احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مزيدة ومنقحة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص250–251.

[3]–أ ينظر حمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ص 250–251

[4]–ا ينظر لمرجع نفسه ، ص251.

[5]– ينظر المرجع نفسه .ص

العرب كرها واعتنقوا الإسلام رياء، فابتعدوا عن الأخلاق، ولبسوا لباس الخلاعة والمجون، لكنهم نشروا أيضا المعاني المبتكرة، والأخيلة البديعة، والمذاهب الجديدة[1].

فكان من الطبيعي أن يظهر على ساحة بغداد والكوفة والبصرة إنسانان: أحدهما مسلم عربي محافظ، والآخر مسلم غير عربي ثائر على كل قديم، داع لكل جديد، والناس بينهما حائرون مذهولون مندهشون والدوامة تعصف بالجميع.

وخير من مثل هذا العصر بنواقضه هو شاعرنا أبو العتاهية، الذي مثلما عاش وصوّر لنا حياة اللهو والترف والمجون، عاش نقيضها، فأبدع في قول الشعر خاصة عن الزهد التقشف.[2]

[1]– ينظر المرجع نفسه، ص264.

[2]– ينظر الخليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، دار المكتبةالهلال، بيروت، ص171.

الفصل الثاني: حياة اللهو عند أبي العتاهية وأثاره

-أولا :التعريف بالشاعر وحياته

- ثانيا:حياة اللهو عند أبي العتاهية

لقد كانت حضارة بغداد عهد العباسيين تعجّ بالأهواء القوية الجامحة، عجيجا يندر أن نقع على مثله إلا في روما عهد القياصرة الأول، وتظل بغداد ذلك العصر أوفر حيوية من روما، وأغنى شاعرية وأشد عنفا وجموحا في العواصف والأفكار والأخلاق[1].

انتقل العرب والمسلمون من حياة البداوة أو نصف بداوة إلى حياة الحضارة الكاملة المتشبعة بمختلف الثقافات والديانات والروافد المذهبية والفنية الدخيلة، ومختلف العلوم التي حملتها الأجناس التي أسلمت، وأنماط الحياة وفنون البناء والموسيقى والفكر والأدب والفلسفة.. فكان هذا انقلابا كلّيا في ميادين مختلفة تكيَّف معه الإنسان العربي بكلّ أشكاله وأبعاده، ممّا خلق اضطرابا كبيرا في المفاهيم، وتغييرا أكبر في النفوس، وبالتالي كثرت الصراعات والجدل العقيم، ولمّا كان الشعراء أكثر إحساسا وانفعالا بالتيارات الجديدة تلهفوا بأخذ الجديد المغاير، وتركوا وراءهم ذاك القديم المألوف[2].

ورث المجتمع العباسي أساليب اللهو والمجون التي كانت منتشرة في الفارسية والساسانية كما أسلفنا الذكر، كأنواع الغناء المختلفة وإباحة الخمور وانتشار الزندقة، بسبب انفتاح العالم الإسلامي على مختلف الحضارات، وساعد على ذلك تساهل الخلفاء العباسيين خاصة بعد المهدي، فانتشرت الخمارات في المجتمع العباسي وشاع الفسق والمجون فيها، وأصبح الشعراء والكتاب يتناولونها في شعرهم وكتاباتهم[3]،يصفونها ويصفون مراحلهاوألوانها ومجالسها وأوعيتها،وكؤوسها وحامليها وآثارها في العقل غير ذلك من الأمور المتعلقة بها، كما يصفون الجواري الحسان ويتغزلون بمحاسنهن، وهو ما نجده عند شعراء المجون ذاك العصر من أمثال أبي نواس ووالبة بن حباب ومن لف لفهما

[1]– ينظر عبد اللطيف شرارة، أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب دار الشرق الجديد، بيروت، ص7.
[2]–ينظر أسامة كانوني، أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي، بيروت، لبنان، 1950، ص157–158.
[3]– ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، ص 65–67.

كأبي العتاهية،الذين ألفوا التردد على دور الغناء والرقص وحضور مجالس الأنس والغناء ودور الشعراء والحانات وحتى مجالس الخلفاء...[1]

وهو العصر الذي سمي فيه مسلم بن الوليد "صريع الغواني"، وأفنى "العباس بن الأخنف" حياته وهو يمدح العفّة في الحب، وتعدّى فيه "أبو نواس" كل الحدود في الخلاعة والتهتك، وفاق فيه هجاء "بشار بن برد" كل هجاء مقذع، وصلب فيه "صالح بن عبد القدوس" على جسر بغداد لزندقته، وكثر فيه مجون وفساد "سعيد بن وصب"، ثم كان مثالا للتقوى والإيمان...وكثر فيه الشعراء رجالا كانوا أو نساء، خلفاء ووزراء وعوام[2].....

هؤلاء شعراء قضوا حياتهم في الانحراف وحب الدنيا وملذاتها، فعاشوا في أحضانها، خاضوا مسالكها، فتعايشوا مع شهواتها ولذائذها، واقترفوا كبائر الإثم والرذائل، وانتهزوا كل ذلك في مرحلة الشباب الذي يمثل القوة قبل ضعفهم أثناء الشيخوخة، حيث اعتبر الشباب هو مرحلة القوة والإقبال على الشهوات والمتع الدنيوية، والنزعات الحيوانية، أما الشيخوخة فهي مرحلة ضعفوتأمل وتفكير وإخلاص لما هو روحاني،ولمّا كان الشباب هو القوّة والتلهف في حب الماديات والجري وراء الملذات كثر المجون عند الخاص والعام[3]، وجهر به الشعراء وغيرهم ، فكان من الطبيعي أن يجنح شاعرنا مع الجانحين متأثرا...بالحضارة الوافدة المحمّلة ببذور المجون والخلاعة، مثلما حملت الأفكار الجديدة والفلسفات والعلوم ...

وقد أسرع شاعرنا في الجنوح ربما لشعوره بالضياع ووضاعة نسبه، مما جعله يرى طريق المجون والتعتّه متنفّسا له، فتح له الباب واسعا لإبداعاته الشعرية، ومواهبه الخلاّقة فيها، هذاالذي أشفى غليل صاحبنا، ونفّس عما بداخله من إحساس بالنقص

[1]– ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص 200–210.

[2]– ينظر عبد اللطيف شرارة، أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب، ص7.

[3]–ينظر المرجع نفسه .ص 7.

والحرمان[1]، فأصبح يتدفق شعرا كلما حانت الفرصة لذاك، بل في كل وقت وفي كل مكان، مداعبا أو متغزلا أو هاجيا أو واعظا أو ناصحا... لنيل الشهرة التي لطالما حلم بها، وللتنفس عما في قلبه، فنال الشهرة ونافس كبار الشعراء، ومنهم من حتى فضله على نفسه مثل بشار بن برد وأبي نواس.[2]

-أولا / التعريف بالشاعروحياته:

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، من شعراء العصر العباسي الأول، ولد سنة 130هـ 747م في قرية تسمى "عين التمر" وهي قريبة من الأنبار[3]،ويصفه أحمد حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" أنّه كان أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جعدة، وهيئة حسنة، لبق اللسان مذبذب الرأي، معتل العقيدة لاضطرابه في الآراء وتلونه في النحل،وهناك من نسب إليه إنكار البعث لذكره للموت دون ذكر النشور والمعاد[4]،كان أبوه من موالي "بني عنترة"، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى "بني زهرة"،كنّي بـ "أبي العتاهية"، وتعود هذه الكنية إلى قولين، أولهما أن الخليفة المهدي ذات يوم قال له:" أنت إنسان متحذلق معتّه، فاستوت له من ذلك كنيته، غلبت عليه دون اسمه، وسارت له في الناس، "ويقال للرجل المتحذلق عتاهية،كما يقال للرجل الطويل شاحبة،ويقال أبو عتاهية بإسقاط الألف واللام 4 ،والقول الثاني لـ "محمد بن يحي" الذي قال: "كنِّي بأبي العتاهية إذ كان يحب الشهرة والمجون والتعته ، فاستوى اسمه مع كنيته5.

---

[1]-ينظر الخليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص16-17-18.

[2]-ينظر احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي. ص 268.

[3]- ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص237

[4]- ينظر أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مزيدة ومنقحة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص269.

5- ينظر الفيروز بادي. القاموس المحيط.ط2.المكتبة الدينية المصرية.مصر.1924.ج4.ص 388

واللهو مصدر لها ولها بما لعبت به وشغلك من هوى وطرب نحوهما،ولها به أحبه ،وعنه سلا وغفلا وترك ذكره[1]، ولهت المرأة إلى حديث الرجل لهو ولهو أنست به وأعجبها ولهت المرأة إلى حديث الرجل لهو، ولهو آنست به وأعجبها[2]،ورد لفظ الهوى في القرآنالكريم في أكثر من موضع،وفي أكثر من معنى كقوله تعالى: (ومَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُنيَا إلاَّ لهوٌولعبٌ)[3]،وقوله تعالى:(الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِبا ولَهوا وغَرَّتهُم الحَيَاة الُدنيَا)[4].

أما **اصطلاحا** فهو "الشيء الذي يتلذّذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي،وقيل هو لعب الصبيانفيعقبه التعب من غير فائدة"[5]،وقال الطرطوشي: "أصل اللهو الترويح عن النفس بما تقصيه الحكمة"[6].

والمجون لغة: "مجن الشيء يمجن مجونا إذ صبّ وغلظ ومنه سمي الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه" والمجانة ألا يبالي ما صنع وما قيل له[7].

واصطلاحا فالماجن هو"الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ولا يمضه عَذلُ عاذِله ولا تقريع من يقرعه[8]، والمعتوه يعني ناقص العقل من غير جنون[9].

وفي كنية أبي العتاهية يقول "أبو قابوس النصراني" وقد بلغه أنّ أبا العتاهيةفضّل عليه العتابي:

---

[1]– ينظر الفيروز بادي، القاموس المحيط، ط2، المكتبة الدينية المصرية، مصر، 1924، ج4، ص388.

[2]–ينظر الفراهيدي، كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامراني، 2001، ج4، ص87.

[3]– ينظر القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 64.

[4]– المرجع نفسه، سورة الأعراف، الآية 51.

[5]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم النرزي، مج 10، المجلس الوطني للفنون الأدب، 1972، ص355.

[6]– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت.إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1968، ج4، ص262.

[7]–ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، القاهرة، ج6، ص 41–42.

[8]–ينظر المرجع نفسه، ص41–43.

[9]–ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ج1، ص2791.

قُل للمُكَنَّى نفسه متخيرا بعتاهية

والمُرسل الكلم القبيـح وعتبه إذن واعية

إن كنتَ سرا سؤتني أو كان ذاك علانيه

فعليك لعنة ذي الجلا ل وأم زيد زانيه[1]

وهذا والبة بن الحباب الشاعر الماجن يهجو أبا العتاهية فيقول:

كان فينا يُكنى أبا إسحاق وبها الركب سار في الأفاق

فَتكنَّى مَعتوهنا بِعتاهٍ يالَها كُنيةٍ أتَت باتِفاقِ

خَلَق اللهُ لكَ لِحيةٍ لاتنـ فكُّ معقودةٍ لدَى الحلاقِ[2]

ذكر بعض المؤرخين منهم المستشرقان "نكلسون وهوار" أن أصله عربي، أما ما أورده الأصفهاني وابن خلكان ومن نقل عنهما أن نسبه إلى عنزة بالولاء، ونجد في الأغاني عن محمد موسى قوله" ولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة، ومن قبل أمه لبني زهرة،ولعل اسم بلدته التي ولد فيها جعلهم يرون ذلك، فبلدته "عين التمر" ذكروا أنها بلدة بالحجاز، والحقيقة أنها بلدة بالعراق، وما يؤكد صحة القول أنه رمي بالزندقة وما يرمى بها إلا من نسب للفرس، كما أنّه لم يكن شديد التمسك بنسبه، فقد كان يدّعي أنّه مولى لليمين زمن يزيد بن منصور الحميري، فلما توفي يزيد رجع إلى نسبه الأول،وما هو بفعل من انتسب نسبا صريحا للعرب[3].

---

[1]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص1.

[2]– الخليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص9.

[3]–ينظر أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي، دار العلم للماليين، بيروت، لبنان، ط 12، سنة 1979، ص112–113، عن الأغاني، ج4، ص127.

ويروي أبو دؤيل مصعب بن دؤيل الحلاني قال: لم أر قط مندل بن علي العنزي، وأخاه حيان بن علي غضبا من شيء قط إلا يوما واحدا، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مضمخ بالدماء، فقال له: ويحك! ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقال له: أنت أخونا وابنعمنا ومولانا، فقال: إن فلانا الجزار قتلني وضربني وزعم أني نبطي، فإن كنت نبطيا هربت على وجهي، وإلا فقوما فخذا لي بحقي، فقام معه بن علي وما تعلق نعله غضبا، وقال له: والله لو كان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه، ومر معه حافيا حتى أخذ له بحقه[1].

ويقال أنّه كان شحيحا رغم وفرة المال لديه. إذ يروى عن ثمامة بن الأشرس أنّه سألأبا العتاهية: "فلِم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك"،ولا تأكل منها ولا تشرب منها ولا تزكي منها لتكون لك ذخرا يوم فقرك، ولا تشتري اللحم إلا في العيد، فردّ عليه أنه يخاف الفقر والحاجة إلى الناس، ثم قال إنّه اشترى في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم!! وقيل أنّه كان يأكل خبزا يابسا ويتأدم بلا شيء!!! [2].

يروى أنّه كان له جار فقير سيء الحال، كلّما رآه يدعو له بالغنى واليسر إلى أن مات نحو عشرين سنة، ولم يتصدق عليه بدرهم، ولما سئل عن ذلك، قال أنّه يخاف أن يعتاد جاره الصدقة، وأنّ في الدعاء خير كثير [3].

ويروى أنّه كان له خادم أسود طويل يمنحه رغيفين بدون إدام في اليوم لا يكفيانه، فلمّا طلب منه أن يزيده، ردّ عليه أنّه من لا يكفه القليل لم يكفه الكثير، ثم أنّه يدخل إلى بيته وبناته، وإذا لم يتعود القناعة أهلك ماله وعياله، حتى مات فكفّنه في إزار وفرش له خرق، ولما سئل عن ذلك، قال أنّ الحيّ أولى بالجديد من الميّت، وقد سئل مرّة

[1]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص3–4.

[2]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص16.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص 16–19.

عن الزّكاة، فقال أنّه جعلها نفقة لعياله، ولو انقطعت الزكاة عنهم لا يكون في الأرض أفقر منهم[1]....

غير أننا لا يمكن لنا القول ببخله، لأن من نشأ نشأة "أبي العتاهية" فقيرا معدما، ينفق عليه أخوه "زيد" الخزّاف، فمن الطبيعي أن يهتم بشدّة الوصول للثروة، فهي حالة طبيعية لمن كان مثل وضعه ومثل عصره، لا يحترم فيه إلا الغني، ولا يمجّد فيه إلا ذوي الجاه والسلطان ولو كان من المجرمين واللصوص، فكيف بإحساس شاعر يحسّ ببراعة مواهبه، وأنّه جدير بالمجد والشهرة، إذن فالمسألة ليست فقط بخل لمجرد البخل، فحرصه هو حرص على ما يوصله المجد ماديا وشعرا، في زمن أصبح كل الناس بخلاء في نظر شاعرنا في تقديرهم للمواهب واحترامهم لأصحابها، وهو ما اضطر شاعرنا إلى أن يكون الشح والحرص من صفاته الراسخة تبعا لأوضاعه وظروفه، ثم رأوا بخله خروج عن الدين، وهذا أمر عجيب!! وهو الذي أجبر على تحمل مرارة الفقر والحرمان، فمثل تلك الروايات لم تخضع لمقاييس علم النفس حتى تبرئه أو تعذره أو حتى ترميه بالزندقة كما رموه. ثم أنه رأوه معتوها لكونه تغزّل بإحدى جواري القصر !؟[2].

تختلف شخصية كلّ منا بحسب ظروفها وأحوالها، وقد تكون شخصية الواحد منا قويّة ومستقيمة أو مضطربة وتعاني اعوجاجا، وهو أمر يستند إلى التجارب الشخصية وتجارب من سبقونا، وظروف بيئتنا منذ سنين طوال، ومن هنا نحاول أن نحدّد شخصية شاعرنا. فهو مولى من أسرة متواضعة يعمل على مقاومة أغلال مجتمعه التي قيّد بها، فكان إنسانا متذبذبا لاختلاط معالم الحياة عليه[3]،فهو سوداوي المزاج، كثير التردد في أمر الدين، تقلّب على أطوار شتى،شأنه شأن الذين يخلون أنفسهم من قيود الدين، وينظرون

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص16– 19.

[2]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص 46–54.

[3]– ينظر عبد الستار سيد متولي. أدب الزهد، ج1، 1972، ص82.

فيه نظر الناقد، فاستقر رأي أبي العتاهية أخيرا على التنسك والزهد عن الدنيا[1]، وهذا التردد الذي تميّز به استطاع أعداؤه النفوذ من خلاله للطعن فيه والتشكيك في زهده، فشخصية أبي العتاهية شخصية مثقّفة وواعية. أرادت النبوغ في ميادين مختلفة أدبية كانت أو معرفية تلتقط من أرادت من الينابيع الفلسفية والدينية والمذهبية، فهي شخصية "انتقالية" على حدّ قول صاحب كتاب "أبو العتاهية من الرفض إلى القبول" أمّا تهمة الجهل التي اتّهم بها فلا يمكن أبدا أن ينتسب إليها شاعرنا[2].

كما أن شاعرنا كان ناقدا وصاحب رأي في المذاهب الدينية كمسألة القرآن التي يقول بها المعتزلة تنزيها لله عن أي قديم[3].

وهو يقول ساخرا من القاضي أحمد بن أبي داود:

لَو كُنتَ في الرأي مَنسُوبا إلى رُشد وكَان عَزمُك عَزمًا فِيه تَوفيق

لكَان فِي الفِقهِ شُغل لَو قَنعت به على أن تقولَ كلام اللهِ مَخلُوق[4]

ولعدائه للمعتزلة الذين يقولون بالاختيار يرفض هذا الرأي، ويرى الانشغال به والبحث فيه عبث لا طائل من ورائه، مما يعلي شأنه علما ومعرفة، فما رمي به لا يعدّ عيبا فيه إذا ما نظرنا إلى المحيط الذي عاش وسطه ونظمه ومجتمعه، واعتقاداته المتعددة، ومفاهيمه الملتوية، ومذاهبه المتناقضة، وأفكاره المشوهة التي لا تدفع إلى المواقف الصحيحة، في بيئة لا يقدرون أصحابها إلا بالمال والجاه والنفوذ، فهو العرض والشرف والأصل الرفيع، أما من كان كشاعرنا لا مال له ولا جاه ولا نسبا عريقا لا بد أن يعد مجنونا أو كالمجنون، أو يلقب بالمعتوه كما لقب المهدى أبا العتاهية، لا لشيء إلاّ

[1]– ينظر جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، ج2، ص68.

[2]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص39–41.

[3]– ينظر نفس المرجع والصفحة.

[4]– خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص 41.

لتغزّله بإحدى جواريه... هكذا كان أفراد هذا المجتمع يفكّرون ويعيشون. فإذا ما وجدنا أبا نواس ثائرا فهو يصرخ بصوت عال على مجتمعه، ومفاهيم هذا المجتمع، أما أبو العتاهية فلم يصرخ قويا مثله، بل كتم الأمر أحيانا كثيرة، لخوفه من عقاب الحكام وغضبهم، ثم سلك سلوكا آخر نحو الورع والتقوى تحقيقا لمعاناة نفسه وشقاء حياته، بعد أن خلق ذاك الكتمان ألم نفسي حاد، نتج عنه صراخ داخلي قوي، باد من سلوكه، فلم يصفوا هذا بالتذبذب بل جنونا، ونسبوا تذبذبه إلى عاهات نفسية فيه، بل بإمكاننا أن نعتبره شاعرا مجددا، يريد الوقوف على كل جديد حسن ،بروح عالية وإن لم تسعفه الظروف[1]...

فهو مثلا يقول في ذم الحرص وإن اتهم بالبخل:

شِدَّةُ الحِرصِ ما عَلِمتَ وَضاعَه وَعَناءٌ وَفاقَةٌ وَضَراعَه*

إِنَّما الراحَةُ المُريحَةُ في اليَأ سِ مِنَ الناسِ وَالغِنى في القَناعَه[2]

ويقول أيضا:

ما أَنتِ يا دُنيا بِدارِ إِقامَةٍ ما زِلتِ يا دُنيا كَفيءِ ظِلالِ

غَرَسَ التَخَلُّصُ مِنكِ بَينَ جَوانِحي شَجَرَ القَناعَةِ وَالقَناعَةُ مالي

لَمّا حَصَلتُ عَلى القَناعَةِ لَم أَزَل مَلِكاً يَرى الإِكثارَ كَالإِقلالِ

إِنَّ القَناعَةَ بِالكَفافِ هِيَ الغِنى وَالفَقرُ عَينُ الفَقرِ في الأَموال

[1]– محمد أحمد برانق، أبو العتاهية، مطبعة مصر، 1947، ص24.

*– ضرع: ضعف (مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، انتشارات ناصر خسرو، ط2، سنة 1972، ج1، ص 538.

[2]–ديوان أبي العتاهية، ص270.

ما اِعتاضَ باذِلُ وَجهِهِ بِلِسانِهِ عِوَضاً وَلَو نالَ الغِنى بِسُؤالِ[1]

فأبو العتاهية كان ضحية عصره ومفاهيم مجتمعه، فعلينا أن لا نساير حكمهم المساير لملوكهم الرافض لكل تجديد،المتعصب للطبقية ولكل متزمت لرجال الدين، والمكابح للحريات[2].

نشأ أبو العتاهية في أسرة متكونة من أم وأب وأخ "زيد" أسرة لا تكترث بشيء،فلم يكن يعتزّ لا بالمال ولا الجاه ولا حتى الثروة[3]، كما كان له بنتان تسمى إحداهما "بالله " والأخرى "تالله"، وابن زاهد ناسك[4]، كما أن أخاه كان ينتظم في سلك المخنثين،وهم جماعة يتزينون بزينة النساء،ويلبسون لباسهم ويخضبون أيديهم تشبها بالنساء، وسار هو الآخر على دربه[5]، فقد نشأ فقيرا يساعد أباه في بيع الجرار والحجامة، وربما ضاق الأب بوضعه وتاق إلى حياة أوسع، فانتقل إلى الكوفة مع ولديه زيدا وأبا العتاهية، ولما شبّ هذا الأخير وجنح مع الجانحين، وانتظم مع المخنثين الذين تكاثروا فيالحواضر بفعل الموجات الوافدة المحملة ببذور التخنث والخلاعة والمجون[6].

إلى جانب الأفكار الجديدة وفلسفات وطرائق عيش غير مألوفة عند العرب سابقا، سارع شاعرنا للجنوح إلى المجون كأمثاله، لما كان يحسّه من شعور بالضياع والإحساس العميق بالدونية،ممّا ولد لديه كبتا لم يجد له متنفّسا إلا الانزلاق إلى المجون، بتفجير ملكاته الشعرية أو إبداعاته الفنية، والإتيان بروائع مدهشة في إطار مواهبه الخاصة، وهو

[1]–اديوان ابي العتاهية. ص329.

[2]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص44–45.

[3]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص237–238.

[4]– ينظر ابن المعتز، طبقات الشعراء،تحقيق عبر السار احمد فراج، ج4، دار المعارف، مصر، ص228.

[5]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص7.

[6]– ينظر المرجع نفسه، ص7.

ما جعل أبو العتاهية يتدفق بالشعر بكل أنواعه، مداعبا أو ناقدا أو هاجيا أو متغزلا... ثم واعظاوزاجرا وداعيا إلى الله،ولعلّ هذا السلاح الوحيد الذي رآه شاعرنا متنفّسا له وتحدّيا منه للشهرة ولمحو العار الذي لصق به وبأسرته ومهنته وأصله[1].

فبداية مشواره كانت في الكوفة حيث سارع إلى شعره الصبيان، فسجّلوه على ما نثر من الخزف في دكان أخيه "زيد"، أو على ما يشترون من الجرار[2]،ثم تمثّلت خطوته الأخرى في انخراطه الكلّي بعصبة المجّان من الشعراء، أمثال مطيع بن إلياس ووالبة بن حباب، وأبي دلامة، حماد بن عجرد، ويحي بن زياد،وغيرهم ممن كانوا حلية الأرض ونقش الزمان[3].

مثل هؤلاء كانوا ملأوا الدنيا مجونا وخلاعة، وخلقوا موجة عارمة من الفسق والزندقة عصفت بالجيل، خاصة منهم الجيل المثقف المترف التي عجّت بهم الكوفة من عرب وفرس وسريان وصابئة، مما خلق نشاطا فكريا ضخما في مختلف الميادين،وكانت أرض الكوفة تحمل عقائد كثيرة كالمانوية والبوذية والمزدكية التي ظهرت على السطح، فتأثّر بها الجيل المسلم الناشئ، فدفعته إلى الشكّ في كل شيء، إضافة إلى النزاعات الإسلامية التي تشكّلت إثر الصراع الديني والسياسي القديمين ،كالشيعة المعتدلة والغالبة، وبقايا الخوارج، فكان من الطبيعي تأثر شاعرنا بكل هذا، فيظهر في سلوكه وشعره وحتى أقواله الشيء الكثير منها، كما ظهر تيار أدبي آخر أدخله الوافدون إلى الكوفة ليشاركوا عصابة المجّان مجونهم ،كابن المقفع في أول أمره، ومحمد بن الأشعث، وابن عون العبادي[4]...

---

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص7.

[2]– ينظر نفس المرجع .ص 7

[3]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص20 –21.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص 23.

وبهذا يكون شاعرنا قد وجد في الكوفة كل ما يريده ليستر ضعف نسبه ويمحو ذلّ نشأته، فهذه بيئته الأولى التي وجد فيها نفسه، أما بيئته الثانية فكانت بغداد[1].

تعرّف أبو العتاهية في الكوفة على "إبراهيم الموصلي"،وهو مغني نبطي ناشئ، فكانا صديقين متحابين، فضاقت بهما الكوفة وطمحا في الشهرة أكثر، فانتقلا إلى بغداد عاصمة الدنيا آنذاك ومقصد الطامحين للشهرة، فواجها مصيرين مختلفين، إبراهيم الموصلي ليكون المغني الأول في بلاط المهدي ولا سيما بلاط الهادي وأخيه الرشيد، وشاعرنا لينال من المهدي بدل الجائزة لقبا حمله إلى الأبد وهو "أبو العتاهية"، ففشل فور قدومه إلى بغداد، وربما يكون ذلك لجرأته وتسرعه لطلب الشهرة [2].

وفي طريقه إلى الكوفة عن طريق الحيرة تعرّف إلى امرأة نائحة فتغزّل بها، ومن الحيرة انتقل إلى الكوفة ،ولم يمكث أبو العتاهية طويلا بالكوفة حتى استدعاه صديقه "إبراهيم الموصلي" بطلبه اللحاق به ،لإقبال الدنيا عليه في خلاقة المهدي، فقد أصبح المغني الأول في بلاط المهدي، ولم ينس صديقه المسكين، فسارع شاعرنا فتقرّب من المهدي ونال الجوائز ،وظلّ يلازمه[3]،وكان كثيرا ما يخرج معه إلى الصيد، وعاشر المغنيين كصديقه الكوفي إبراهيم الموصلي ومخارق، فراج شعره بين المغنيين لسهولة ألفاظه ويسر معانيه المستمدة من واقع الحياة، غير أنّه تكاد تنسى حياته الماجنة الأولى ولا يذكر من حياته إلا زهده رغم أنّه قضى أكثر حياته في اللهو والمجون قرابة خمسين سنة صحبة الفتيان الطرفاء والمخنثين والخلفاء والوزراء المترفين، كما أنّه تنعّم في القصر صحبة الأمراء والخلفاء ومجالس الأنس والشراب.3

كما كان لعناية الخلفاء بفن الغناء الأثر الكبير في حياة الشعراء والمغنيين، فكانوا

---

[1]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص 23.

[2]– ينظر نفس المرجع .ص 23.

[3]– ينظر ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص7.

يكرمونهم ويجزلون لهم العطاء، ويناظرون بينهم ويتخذوهم من الندماء، ولا يفارقونهم أبدا، وكان المغني إن عظمت منزلته عند الخليفة استدعاه متى شاء، وصار قريبا منه، وبلغ في الخلفاء أنهم كانوا يقصدون المغنيين في بيوتهم، كما قاموا بتعليم أبنائهم الغناء[1]وقد اقترن الخمر بالغناء والرقص فتحوّلت دور الغناء والرقص إلى خمّارات، فكانوا يشربون ويستمتعون صحبة المغنيين والمغنيات والشعراء وأضرابهم، ومن أشهر تلك الدور "دار ابن رامين" بالكوفة التي كان يختلف إليها مطيع بن إلياس وأبو العتاهية وأمثالهما، ولم تكن هذه الدور لوحدها مخصّصة للغناء والخمر والرقص، بل حتىّ البساتين كانت تعجّ بالحانات، كحانة بستان "صباح" التي عدّت مركزا لبيع الخمور وسماع المغنيات، وأيضا الأديرة التي قدّمت لروادها الخمر فأصبحت وتحوّلت قاعات للشراب فيها إلى مجامح للفتيان والشعراء وشرب الخمر والغناء، وحتى دور الشعراء أنفسهم تحوّلت إلى دور للخمر والمجون، كدار بشار بن برد في البصرة، ودار أبي نواس في بغداد، وعلى إثر إدمان الخمر والإسراف في شربه في المجتمع العربي كثر المجون والإباحية، إضافة إلى كثرة الجواري اللواتي ألفن معاشرة الرجال وعرفن بالكلام الرقيق، وكانت حتى القيان*1تتخذ الأخدان*2من الشباب وتكثر منهم[2]...

وقد ابتعد الشعر عن الأخلاق، فاعتبروا المرأة مجرد أداة للّهو والمرح وقضاء الحوائج القبيحة 3.

1.[1]– ينظر السباعي بيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ص435–437.

[1]*– القيان": الأمة، وكثيرا ما تطلق على المغنية، لسان العرب لابن منظور، ج13، ص353.

[2]*– الأخدان: الأصدقاء، لسان العرب، ج13، ص 139.

[2]– ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، ج3 ، ص 65–73.

[3]– ينظر المرجع نفسه ، ص 65–73.

ثانيا/ حياة اللهو والمجون عند أبي العتاهية وأثاره:

فقد بدأت مظاهر المجون في العصر العباسي جليّة في قصور الخلفاء عصر المهدي والرشيد والأمين والمأمون والواثق والمتوكل، حيث أصبحت القصور مراكز اللّهو وحانات للشرب وساحات للرقص تبعهم الميسّرون وأبناء الخاصة فانتشر الأمر وسط طبقات المجتمع[1].

كان المترفون يشربون في مجالسهم في قاعات الشراب، ويجمّلون كؤوس الخمر بالرسوم الفارسية، ولا أدلّ على هذه الروايات ما امتلأت به دواوين الشعراء مثل بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد في وصف مجالس اللّهو والشراب وما كان يجري فيها،حتّى أنّ الفقهاء كانوا يحضرون هذه المجالس ويناقشون أثناءها حد الخمر[2].

وقد كان خلفاء بني العباس يفضّلون النوم بالنهار والسهر بالليل، يشربون الشراب ويلهون مع النساء والشعراء، فقد كانت تحرّك الشعراء في قصائد المدح في العصر العباسي الرغبة للتقرّب إليهم للحصول على الجوائز المالية التي يغدقها عليهم الممدوحين،والمشاركة في مجالس اللّهو التي يعقدونها. وهو ما نجده واضحا في أخبارهم معهم مثل أبي العتاهية، سلم الخاسر، أبي دلامة [3].

فقد كان التنافس شديد بينهم بقدر تنافسهم عن العطايا، ومن هنا غلب على المديح البعد التكسبي، إذ يمدح الشاعر ممدوحه،فيذكر خصاله الحميدة،والنسب الأصيل الذي ينتميإليه، وشجاعته وكرمه لغرض أخذ العطايا والهدايا[4].

---

[1]– ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص256.

[2]– ينظر نفس المرجع والصفحة.

[3]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص202–265.

[4]– ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص290–297.

فلما انتقل أبو العتاهية إلى بغداد أثناء خلافة المهدي التي كانتمركز النشاط العلمي والأدبي، إضافة لكونها دار الخلافة، اعتبرت المكان المناسب للشاعر لنشر أشعاره بها[1]،إذ قُدِّم في بداية خلافة المهدي فمدحه، وقد استمع المهدي لشعره فأعجب به، فأوسع له في مجالسه حتّى أصبح ملازما له متقدّما على كل الشعراء. فعظم شأن أبي العتاهية،فاتّصل بكبار رجال الدولة أمثال خال المهدي "يزيد بن منصور العميري"[2]،وأول ما مدح به المهدي قوله:

أَتَتهُ الخِلافَة مُنقَادَة إِليهِ تَجُرُّ أَذيَالهَا

ولَم تَكُ تَصلُح إلا لَهُ ولَم يَكُ يصلُح إلا لهَا

ولَو رامها أَحَدٌ غيَرهُ لَزلزِلَت الأَرضُ زِلزالهَا

وَلَو لَم تَطِعهُ بَنات القُلُوب لَمَا قَبِلَ اللهُ أَعمَالهَا [3]

فاهتز بشار طربًا، وقال لمن حوله: "ويحكم، انظروا ألم يطر الخليفة عن أعواده"[4].

فقد لازم أبو العتاهية قصور عظماء عصره وخلفائه طول حياته، مستعملا في ذلك جميع الطرق والحيل لإرضائهم، فأكثر في مدحهم، غير أنّ مدحه كان تجاريا أكثر من أن يكون ناتجا عن عاطفة صادقة، وأحسن ما قاله في المهدي والرشيد، وقد أبعد شعره عن الخصومات السياسية التي كانت ناشبة في عصره بين العباسيين والعلويين، ورغم طمعه في المال إلا أنّه كان يعرف متى يرفضه إذا ما كان قبوله يمسّ كرامته ويحط

[1]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص25.

[2]– ينظر احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص239.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص 375.

[4]– ينظر أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي، ط17، دار المعارف، بيروت، 1989، ص151–152.

من شأنه، وعموما تميّز مدحه بالبراعة فأرضى نفسه، وأرضى ممدوحيه[1]،ومن بين ما قاله في المهدي:

فَتىً مَا اسَتفَادَ المَال إلاَّ أفَادهُ سِواهُ كَأنّ المَالَ فِي كَفّهِ حُلمُ
إذَا ابتَسَمَ المَهدِي نَادَت يَمِينُهُ أَلا مَن أتَانَا زَائرًا فَلهُ الحُكمُ[2]

وقد اتّبع أبو العتاهية في مدحه الطريقة التقليدية المتمثلة في بدئه للمدح بالغزل، وأحيانا بالخمريات، ثم أنّه يعظِّم ممدوحيه كالمألوف،بالكرم والجود وحسن البلاء في الحروب، لكن كل هذه المعاني القديمة يضعها في قالب جديد، تميّز بالبراعة في تصوير الممدوح، إذ "سكب على شعره من سهولة ورشاقة وطلاوة وطبيعة عذبة، وإن غالى أحيانا في التمليق"،إلاّ أنّه يُشعر في ترفع وبسالة[3] ومن بين أشعاره في مدح المهدي:

ومَهمَهٍ*1 قَد قَطَعَت طَامِسَهُ*2 قَفرٍ على الهَولِ والمُحَاماةِ
بِحُرَّةٍ*3 جَسرَةٍ عُذافِرةٍ*4 خَوصاءَ*5 عَيرانةٍ*6 عَلَنداةِ*7
تُبادرُ الشَمسَ كُلَّما طَلَعَت بالسَّيرِ تَبغي بِذاكَ مَرضَاتي
يا ثَاقُ خُبّي بِنا ولا تَعديُ نفسَك مما ترَينَ راحاتِ
حتَى تُناخِي بنا إلى مَلِكٍ توّجَهُ اللهُ بالمهاباتِ
عليه تاجانِ فوق مفرِقِهِ تاجُ جلالٍ وتاج إخباتِ*1

---

[1]– ينظر حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط7، المطبعة البوليسية، بيروت، لبنان، ص420.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص 405.

[3]– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص420.

*1– مهمه :جسيم

*2–طامسه:الدارس الممحو

*3– بحره :الناقة العتيقة الأصيلة

*3العذافرة: الناقة الشديدة.

*4خوصاء: الغائرة العيني.

*5العيرانة: الناقة الصريعة.

*6العلنداة: الضليظة.

*7 الإخبات: التواضع. الديوان، ص 103.

يقول للريحِ كلما عصَفت هل لك يا ريحُ في مُباراتي

ومَن مِثلُ مَن عَمُّه الرسولُ ومَن أخوالُه أكرمُ الخؤولاتِ[1]

فقد قيل أن الخليفة المهدي أول خليفة عباسي شرب الخمر، وشرب أصحابه معه دون ستر، وكان أحيانا يعاقب إباحته كما عاقب حفيد الخليفة عمر بن عبد العزيز بثلاث مائة جلدة لإدمانه شرب الخمر، وقتله لبشار بن برد بعد اتهامه بالزندقة[2]، حتى أنّ شرب الخمر لم يقتصر على الرجال فحسب، بل شربه أخوات وزوجات وبنات الخلفاء، كعلية بنت المهدي ابن المنصور، وأخت هاروت الرشيد وحتى النساء من العامة[3]..

وقد شرب أبو العتاهية الخمر وكتب فيها أشعارا –وإن لم يصلنا منها إلا القليل– فقد وصف الخمر والساقي وأثره على النفس والروح كقوله:

لَهفي علَى الزَّمنِ القَصير بين الخوَرنق والسَدِير

إذ نَحنُ في غُرفِ الجنا نِ نعومُ في بَحر السُرورِ

في فتيةٍ مَلَكوا عِنا نَ الدَهرِ أمثَالِ الصُقُورِ

مَا مِنهُم إلا الجَسو رُ علَى الهوَى غَيرُ الحُصُورِ

يتَعاوَرون مُدامَة صهباءَ من حلبِ العَصيرِ

عَذراءَ ربَّاها شُعا عُ الشَّمسِ في حرّ الهَجيرِ

لم تَدنَ من نارٍ ولَم يَعلق بِها وضَرُ القُدورِ

ومُقرطَقٍ يَمشي أما م القَومِ كالرَشاءِ الغَريرِ

بزُجاجَةٍ تَستَخرجُ ال سرَّ الدفينَ منَ الضَميرِ

زَهراءَ مثل الكَوكبِ الدُرّ ي في كفِّ المُديرِ[4]

1- ينظر حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص103.

2- ينظر رفيق القيرواني.طب السرور في انواع الانبذة والخمور .مكتبة الشاملة .ص 87

3- ينظر المرجع نفسه .ص 87

4- ديوان ابي العتاهية .ص 212

فهم لا يشربون إلا الخمر الممتاز الجيّد صهباء بكر لم يقربها أحد قبلهم، ترتَّب في شعاع الشمس على مهل، ولم تحرقها، وهي نقية وطازجة،يأتي بها الساقي كالظبي يتبختر، يحملها في زجاجة وضيئة في كفّه، لا تلبث أن تلعب بالعقول فتخرج الأسرار من الضمائر وتتركهم سكارى، ولكن المجلس فيه شيء أكثر من الخمر فيه غانيات كقوله:

ومُخصِّراتٍ[1] زُرنَنَا بَعدَ الهدّوّ مِن الخُدورِ

ريّا[2] راود فِهُنَّ يل بَسنَّ الخَواتِم فِي الخُصورِ

غُرِّ الوجُوهِ مُحجَّبا تِقَاصِراتِ الطَرفِ حُورِ

مُتنعِّمات فِي النَعيـ مِ مُضَمّخات بالعبِيرِ

يَرفُلن فِي حُلَلِ المَحـ اسِنِ والمَجاسِد[3] والحَريرِ

ما إن يَرينَ الشَّمسَ إلا الفَرطَ مِن خَلَلِ السُتورِ

وإلى أمِين اللهِ مهـرَ بُنا مِن الدَّهرِ العُثور

وإليه أَتعَبنا المَطا يا بالرَواحِ وبالبُكوُرِ

صُعرِ الخُدودِ، كَأنَّما جُنحنَأجنِحةِ النُسورِ

مُتسَربِلات بِالظَّلا مِ علَى السُهولة والوُعورِ

حتَّى وَصلنَا بِنا إلى ربِّ المدائن والقصورِ

مازال قبل فِطامه في سنِّ مكتهلٍ كبيرِ[4]

---

[1]- المخصرات: قديقات الخصور.

[2]- ربا: ممتلئة.

[3]- المجاسد: جمع مجسد وهو القليص الذين يلي البدن، من كتاب الأصفهاني، الأغاني، ج4،ص 301.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 212.

فلما توفّي المهدي خلفه موسى الهادي (169-170هـ)،فتقرّب منه أبو العتاهية بمدائحه، ليجزل له الخليفة عطاياه، فقد اصطبغت مجالس الأدب في بلاط الهادي بالصبغة العربية، فكان أغلب مجالسيه عربًا، وكانت مجالس الأدب والغناء تضمّ العديد من الوزراء، فازدهرت المجالس الأدبية في البلاط التي كانت امتدادا لمجالس أبيه المهدي، حتى أنّ أغلب الشعراء استمرّوا في بلاطه بعد موت والده[1].

وقد مدح شاعرنا موسى الهادي يوم خلافته قائلا:

يَضطَربُ الخَوفُ والرجَاء إذَا حَرّك مُوسَى القضيبَ أو فَكّر

مَا أبين الفَضل فِي مغِيبِ مَا أَوردَ مِن رَأيِّهِ ومَا أَصدَر

فَكَم ترَى عزّ عِندَ ذَلك مِن مُعسّر قَومٍ وذلّ من مَعشَر

يُثمرُ من سبه القضيب ولو ينسه غير لما أثمر

مَن مِثل مُوسى ومِثلِ والِدهِ ال مَهدي أوجَده أبِي جَعفر[2]

وقد عمل شاعرنا جاهدا على جمع المال من الخلفاء، ومعاقرة الخمر، وهذا وإن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّه لم يكن من الزّاهدين،وإن أكثر المدح فلم يدل ذاك على اللهو فقط ، بقدر مايدل على تشبثه وحبه للدنيا، كقوله في الهادي:

يا أمين الله مالي لست أدري اليوم مالي

لم أنل منك الذي قد نال غيري من نوال

تَبذلُ الحَقَ وتُعطِي عَن يَمين وشِمَال

[1]- ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص25.

[2]- ديوان أبي العتاهية، ص211.

وأنَا ليَائِس لاتَـ ظُرُ فِي رقَّةِ حَالِي[1]

فأمر الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم[2]، ونراه يكشف أمام علي بن يقطين رغبته في الدنيا لا في الدين وينشد قوله :

حتىَ متَى ليت شِعري يا ابن يقطينِ أُثني عَليكَ بِما لا مِنكَ توليني

إنَّ السَلامَ وإنَّ البِشرَ من رَجُلٍ في مِثلِ ما أنتَ فيهِ ليسَ يكفيني

هَذا زمانٌ ألحّ النّاسُ فيهِ عَلى تيهِ المُلوكِ وأخلاقِ المساكينِ

أما عَلِمت، جَزاكَ اللهُ صَالحةً وَزادَكَ اللهُ فضلاً يا بنَ يقطينِ[3]

ولحبه للمال ورغبته في الدنيا وتنافسه على مغانم الحياة كان يهجو هجوا لاذعا الذين يبخلون في عطائهم إيّاه ويحرمونه من الهبة، ومن ذلك هجوه في يزيد بن معن الذي بخل عليه فأنشد يقول:

بَنَى مَعنٌ ويهدِمه يزيدُ كَذلكَ اللهُ يَفعل مَا يُريدُ

فمَعنُ كان للحُسَّاد غمًا وهَذا قَد يُسرُّ به الحسودُ

يَزيدُ يَزيدُ فِي مَنعٍ وبُخلٍ ويُنقِصُ فِي النوَالِ ولا يَزيدُ[4]

وقد هجا آخر لنفس السبب، فقال:

أَصبَحتَ لا تَعرِف الجَميلَ ولا تُفرّقُ بيَنَ القبَيحِ والحَسنِ

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص377.

[2]– ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 2020، ص219.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص 454–455.

[4]–ديوان ابي العتاهية ص 656.

إنّ الذي يَرتَجي بذاكَ كَمَن يَحلِبُ تَيسًا مِن شَهوةِ اللَّبَنِ[1]

وقال فيه أيضا :

أوالب مادهاك وأن ت فب الأعراب ذو نسب

أراك ولدت في المري خ يابن سبائن الذهب

فجئت أقيشر الخدي ن ازرق عارم الذنب

لقد أطأتَ في شتمي فخبرني ألم أصب[2]

ويقول :

لاتكثرا ياصاحبي رحلي في شتم من أكثر في عذلي

سبحان من صابن معن بما أرة به من قلة العقل

قال ابن معن وجلا نفسه علي من الجلوة ياأهلي

أنا فتاة الحي من وائل في الشرف الباذخ والنبل

مافي بني شيبان أهل الحجى جارية واحدة مثلي

ياليتني أبصرت دلالة تدلني اليوم على فحل

أتيته يوما فصافحته فقال دع كفي وخذ رجلي

يكنى أبا الفضل فيا من رأى جارية تكنى أبا الفضل

قد نقطت في خدها نقطة مخافة العين من الكحل[1]

[1]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص38.

[2]- ديوان أني العتاهية، ص66.

ولما تولى الرشيد الخلافة (170-193هـ) كان شاعرنا على صلة به أيام المهدي، فأوصل ما انقطع،ولازم أبو العتاهية قصر الرشيد ولم يبرحه، وكان يمنحه كل سنة خمسين ألف درهم، فضلا على الجوائز السنية[2]، وقد تطورت مجالس الخلفاء في العصر العباسي فكانت من أروع المجالس في حسن أثاثها وسعة رحابتها، وكثرة علمائها وأدبائها، وتنوع فنونها،هذا إضافة إلى مجالس الطرب التي كانت الصبغة الأدبية غالبة عليها، حيث يثار فيها حديث الشعر والشعراء،وكان الرشيد والمأمون من أشهر خلفاء بني العباس في فخامة مجالسهن وروعتها، ومن رواد مجالسهم أبو العتاهية وأبو نواس ودعبل ومسلم بن الوليد، والعباس بن الأجنف، إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق[3]...

فقد فاق الرشيد جميع الخلفاء في تقديره للمغنيين بالعطايا والهدايا، وجعلهم مراتب وطبقات[4]،أولها إبراهيم وإسحاق وابن جامع وزلزل وغيرهم، وآخرها أصحاب المعازف والطنابير[5]،وكانوا يستعملون العود[6]،والمزمار، والطنبور[7]، والمغرفة[8].

اهتم الخليفة هارون الرشيد بالمجالس الغنائية اهتماما كبيرا، هذه المجالس التي كانت تقام بهدف الأنس والتسلية والاستمتاع بالغناء. فجمع الرشيد بين المغنيين المتعصبين للقديم من أمثال إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، ومن يميلون للجديد كإبراهيم بن جامع... ومن عناية الخلفاء بالمغنيين أنّهم أسقطوا الكلفة بينهم،فكانوا يزورونهم في

---

[1] - - ينظر ديوان أبي العتاهية، ص66.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص1.

[3] - ينظر مصطفى البشير قط، مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، 2009، ص52-54.

[4] - ينظر (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، بيوت، لبنان، 2003، ص116.

[5] - ينظر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر ودار البحار، بيروت، سنة 1955، ص39.

[6] - ينظر المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص251.

[7] - ينظر نفس المرجع .ص 251.

[8] - ينظر الخواريزمي (الشيخ أبي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي)، مطبعة الشرق بمصر، مفاتيح العلوم، ص137.

منازلهم ويقدمونهم، ويخصصون لهم أياما معينة في الأسبوع يستمتعون معهم فيها مع عائلاتهم، حتى أنّه أقبل بعضهم على تعلم الغناء والبراعة فيه،إضافة إلى تعليمهم للجواري ووجود القيان اللاتي كانت لهنّ البراعة في الجمال والأنوثة والصوت الجميل والعزف البارع، فكان الرشيد وزوجته زبيدة ينفقون الأموال الطائلة والمكافئات الكبيرة للاهيين[1]،وقد أثقلت أعداد الجواري الكبيرة في عهد الرشيد وجوائزهن وارتفاع أثمانهن كاهل خزينة الدولة والسيطرة عليها[2]،وقد بلغت درجة الإسراف أن يطلق الخليفة الشاعر على بيت المال ينال ما يشاء مكافئة له على مدحه، سواء كان ذلك شعرا أو غناء، أو بأي مظهر آخر من مظاهر اللهو والمجون[3].

فكان الرشيد أكثر الخلفاء ولعا بمجالس اللهو والطرب واقتناء حسن الجواري[4] التي كانت تتخلل مجالسه من مختلف الأجناس، فأصبح الحديث عنهنّ يشغل مجالس السلطة الحاكمة، وكان أكثر الخلفاء أبنائهن[5].

وقد استكثر الرشيد منهنّ في قصره زهاء ألف جارية، إذ أسرف أموالا طائلة مقابل شرائهن وامتلاكهن، فاحتلّوا مكانة مرموقة في قلب الخليفة وفي قصره[6]،وكانت مجالس الخليفة الرشيد متنوعة من سمر وغناء ومنادمة، وشاعرنا يلازمه، حيث تقام عادة على مائدته أنواع الشراب والطيب من المأكل والغناء والرقص يصاحبهم[7]،ويجلسالخليفة وراء الستاروأصحابه المقربون من بني هاشم

---

[1]–ا ينظر لجهشري، الوزراء والكتّاب، مكتبة بولاق، القاهرة، 1936، ص175–176.

[2]– ينظر (ابن الكثير) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج10، ط1، دار هجر للطباعة بمصر، 1998، ص 220.

[3]– ينظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص115.

[4]– ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج14، ص210.

[5]– ينظر شوقي ضيف، العصر عباسي الأول، ص17.

[6]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، مج 16، ص345.

[7]– ينظر المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص279–280.

والبرامكة[1] ، وكان عماد هذه المجالس "إبراهيم الموصلي" كلما غنّى "إبراهيم الموصلي" بمجالس الرشيد طرب كل من سمعه فيها[2]،هذه المجالس التي كثر فيها الغناء واللهو والشرب، إذ كان لابد للاهين أثناء لهوهم من شراب يصحبهم نحو المتعة والسرور، قال الرشيد: "موسيقى السماع كالروح، والخمر كالجسد، فباجتماعهما يتولد السرور"[3] لذلك كان أكثر الخلفاء إنفاقا وإسرافا على مجالسه من هدايا وعطايا[4]،لقد أصبح قصره حانة للشرب وساحة للرقص، وتبعه في ذلك الخاصة والعامة[5].

ففي هذه المجالس كان يجمع المغنون والموسيقيون والندماء والشعراء، فيغنون في حضرة الخليفة،وكان الرشيد يتمايل طربا من الغناء[6]،وروي أنّه في مجلس غناء بقصر الرشيد حضرت أكثر من ألف جارية،ويروى أنّه في مجالسه كانت تحضر حوالي أربعة آلاف جارية[7]،وكان للشعراء الحظ الأوفر للتردد عليها[8]، ومن بين ما قاله أبو العتاهية عن الرشيد:

وهَارونُ مَاءُ المُزنِ يُشفِي بِه الَصدَى إذا مَا الصَدَى بالرِيقِ غَصَّت حَناجِرُه

وزحفٍ له تحكي البروقَ سيوفُهُ وتحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَمِيَت شمسُ النهارِ تَضاحكَت إلى الشمسِ فيه بيضُهُ ومغافرُه

إذا نكب الإسلام يوما بنكبة فهارونُ من بين البَرِيةِ ثائرُه

---

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص58.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ج5، ص33.

[3]–ا ينظر لأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الحياة، بيروت، 1961، ص241.

[4]– ينظر جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، ص51.

[5]– ينظر احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص122–125.

[6]–ا ينظر لأصفهاني، الأغاني، ج5، ص109.

[7]– ينظر محمد رضوان، أسرار الأمير العاشق، مركز الراية، القاهرة، 1998، ص27.

[8]– ينظر جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، ص38.

ومن ذا يفوتُ الموتَ والموتُ مُدركٌ كذا لم يفُت هارونَ ضدّقٌ يُنافرُه [1]

أما في عصر الأمين فقد صبغت مجالس الشرب على حياته، حتى أنّه كان يعبث بشؤون الحكم أثناء منادمته، فقد أغرق في اللهو والانحراف عن شعائر الدين، ولعله حتى أصيب بالشذوذ الجنسي[2]، ولعلاقة الخليفة الأمين بأبي نواس ولخلافه مع أخيه المأمون خطب المأمون بخرسان بمساوئ الأمين فقال: "ماضنّكم بخليفة يقتدي بشاعر ينشد بحضرته جهارا نهارا في مجلسه فيقول:

ألَا فَاسقِنِي خَمرا وقُل هي الخمرُ ولا تَسقِني سِرا إذَا أمكنَ الجَهرُ

فما الغُبن إلا أن تَراني صَاحيا وما الغُنمُ إلا أن يُتعَتعُنِي السُكرُ

فَبُح باسمِ من تَهوى ودَعني من الكُنى فلا خَيرَ في اللذّاتِ من دونِها سِترُ

وخَمَّارةٍ نبَّهتُها بعد هَجعةٍ وقد غابت الجوزاء،وانحدر النَّسرُ[3]

والمأمون في بداية حكمه قرّب العلماء إلى مجلسه، لكن سرعان ما غيّر طبعه، فهو أوّل من قال: "النبيذ بساط، فإذا رفع طوى بما كان عليه، فكان يطرب للأغاني ويشرب النبيذ"[4]

فقد أصبح شرب الخمر والعكوف على الملذات أمرا طبيعيا، فنرى قسما من المجتمع في الكوفة والبصرة يعيش على الشهوات والمتعة واللهو والشراب، وصل الأمر حتى الحجاز... الذي ازدهر فيه الغناء والإيقاع وفنون اللهو والعبث[5]، لكن هذا لا ينفي

[1]–ديوان أبي العتاهية، ص189.

[2]– ينظر محمد مصطفى هدارة، المأمون الخليفة العالم، دار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص19.

[3]–أبو نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، ت بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، سنة 2010، ص96.

[4]– ينظر محمد مصطفى هدارة، المأمون الخليفة العالم، ص165–166.

[5]–ينظر محمد مصطفى هدارة، المأمون الخليفة العالم، ص165–166.

وجود فئة جادة قائمة على دينها،محافظة على تقاليدها،حتى مع غناها وثروتها، كما أنّ هذا لا ينفي وجود طبقة أخرى من الفقراء والمعوزين أو متوسطي الحال[1].

فبإمكاننا القول أنّ الحياة الاجتماعية عصر هارون الرشيد كانت قائمة على شيء من التوازن بين الجدّ واللّهو من خلال شخصية الرشيد نفسه، فإلى جانب حبه للهو والعبث والإغراق في الملذات،كان يستمع إلى نصائح الوعّاظ والصالحين،فتنهمر دموعه من خشية الله،أمّا عصر الأمين فصارت الحياة إغراقا في اللهو والمجون،وانحرافا عن شعائر الدين، بشكل لم يسمع به القرن الأول ولا أوائل الثاني،إذ لحبه للّهو طلب الملهيين من جميع البلدان وضمّهم إليه[2].

فهذه الحياة كانت من الأسباب والدوافع التي جعلت شاعرنا يجنح هو الآخر إلى اللّهو والمجون .وأخذ شاعرنا يمدح كبار رجال الدولة أمثال يزيد بن مزيد الشيباني، وينال جوائزهم ما عدا البرامكة، الذين كانت لهم شعائرهم، فلم يقربوه مع إعجاب زعيمهم جعفر بن يحي به، وكذلك الحسن بن سهل، الذي كان يمنحه ثلاثة آلاف درهم كل شهر، هنا بلغ شاعرنا الذروة في الثراء والشهرة، فراح ينفق المال على ملذاته ومجونه رفقة عصابة السوء إياها "والبة بن الحباب" أبو نواس".. فشاعرنا قد تجاوز الأربعين من عمره، وكأنّه أراد أن ينسى حياة الجوع والتشرد والفقر والضياع من جهة، ومن جهة أخرى لتحدي قيم أهين بها، كالعروبة الخالصة والنسب الصريح والعقيدة الصافية[3]، وأحسن ما قاله في الوصف قاله في الخليفة المهدي والرشيد كما أسلفنا الذكر ومن بين ما قاله في الرشيد:

أَكثَرَ مُوسَى غَيظَ حُسَّاده وزيَّنَ الأَرضَ بأولادِه

وجَاءنا من صُلبِه سيّد أصيدُ في تقطِيع أجدَادِه

[1]–ينظر المرجع نفسه، ص10.

[2]– ينظر المرجع نفسه ، ص19 ص18 .

[3]–خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى قبول، ص27–28.

فاكتسَتِ الأرضُ بِهِ بَهجَةً واستَبشَرَ المَلكُ بِميلادِهِ

وابتَسَمَ المِنبَرُ عن فرحةٍ عَلَت بهِا ذُروةُ أعوادِهِ

كَأنَّني بَعـدَ قليلٍ بِهِ بَينَ مَواليهِ وقُوّادِه

في مَحفَل تخفُقُ راياتُهُ قَد طبَّق الأرضَ بأجنَادِهِ[1]

وقال عنه في موضع آخر:

إمامَ الهُدَى أصبَحتَ بالدِّينِ مَعنِيا وأَصبَحتِ تَسقِي كُلَّ مُستَمطِرٍ رِيا

لَكَ اسمان شُقَّا مِن رشادٍ ومن هُدًا فَأنتَ الذي تُدعَى رَشِيدا ومَهدِيا

إذا ما سَخطتَ الشَيء كَان مُسخّطا وان تَرضَ شَيئا كان في النَّاسِ مرضِيا

بَسطتَ لنا شرقًا وغربا، يد العُلا فأوسَعتَ شَرقيا وأوسَعت غَربيا

ووشَّيتَ وجهَ الأرضِ بالجُودِ النَدى فأصبَح وجهُ الأرض بالجُود موشِيا

وأنتَ أميَر المؤمنين فتى التقى نشَرتَ مِن الإحسَانِ ما كان مَطوِيا

قضَى اللهُ أن يَبقَى لهارون ملكَه وكان قضَاءُ الله في الخلقِ مقضِيا

تحلَّبَت الدُنيا لهَارونَ بِالرِضا وأصبح نَقفُور لهارونَ ذِمِيّا[2]

– ومن بين ماقاله في الخليفة الهادي:

ياأمين الله مالي ، لست أدري ، اليوم مالي ا

لم أنل منك الذي قد نال غيري من نوال

[1]–ديوان أبي العتاهية، ص158.

[2]–ديوان أبي العتاهية ، ص489.

تبذل الحق وتعطي عن يمين و شمال

وأنا البائس لاتنـ في رقّ حالي[1]

فأبو العتاهية يمتلك ملكة فنية عالية، جعلته يتبوأ القمّة على الساحة الشعبية،وعند المتذوّقين للشعر والمحبّين له، رغم أنّ شعره عرف بالألفاظ البسيطة، إذ قال الأصمعى عنه "إن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى"[2].

ومنهم حتى أنّه فضّله على نفسه مثل: بشار بن برد وأبي نواس، وقد اشتهر بنبوغه في شعره، إذ قال عنه صاحب الأغاني أنّه: "غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ كثير الافتنان، قليل التكلف ولقد طرق أبواب الشعر فأجاد "[3].

ونظرا لتأثّر العرب بالأقوام والحضارات الدخيلة إثر الفتوحات التي شنّها العباسيون، وكثرة الجواري اللواتي كن سبايا حرب من أصول فارسية ورومانية، وأيضا اهتمام الخلفاء بالفنون،كل هذا سبب في انتشار مجالس الأنس والاهتمام بالغناء والألحان اهتماما كبيرا، فقد تطوّرت صناعة الغناء والموسيقى تطوّرا كبيرا وبلغت ذروة الكمال[4]، خاصة عند ظهور المغنيين كإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وابن جامع وعلوية، وقد شاركت المرأة الرجل في هذا الميدان، وبرزت بعض الجواري المغنيات كـ"عريب" جارية المأمون، و"شاريه" و"بدعة" و"ساجية"[5]...

كما انه كانت العراق مصب اموال المملكة الغنية ، بحكم انها مركز

---

[1] - ديوان ابي العتاهية: ص 377

[2] –احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص270.

[3] –أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص27.

[4] – ا ينظر بن خلدون، المقدمة، ت حامد احمد الطاهر، دار الفجر، ط1، القاهرة، 2004، ص300.

[5] – ينظر ابن طيفور، بغداد،ت السيد عزت العطار الحسيني،مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر،ط2002،3،غ 1،ص15.

الخلافة[1]،ونعلم أنّه كثرة المال ابتلاء من الله تعالى، فإمّا أن يحسن الإنسان إنفاقه وصرفه للخير وطاعة الله، وإمّا في غيرما أمر الله [2].

قال تعالى:(وإذا أَرَدنَا أَنْ نُهلِك قَريَة أَمَرنَا مُترَفيهَا فَفَسَقُوا فِيها فَحقَّ عَليهَا القَولُ فَدَمرنَاها تَدمِيرا)[3]،قال ابن خلدون"إنّ من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم"[4]وفي خضم هذه الأوضاع نشأ شاعرنا في الكوفة بيئة العلم والأدب، غير أنّه اتّخذ منها بيئة للفسق والمجون، صحبة طبقة من الشعراء والمجّان، أمثال والبة بن حباب ومطيع بن إلياس، وأبي دلامة وحماد عجرد،.. في زمن راج فيه الشعر المكشوف، وتغزّل الشعراء بالذكران من العالمين، وشاع الانحلال الخلقي، فالشعراء قاطبة قبل الإسلام إلى عهد بني أمية كان تشبّبهم بالنساء لا غير، فلمّا كانت دولة بن عباس واختلاطهم بأهل خراسان حدث فيهم اللواط لارتباطهم بالغلمان، فتغزل الشعراء بالمذكر، وتخنّث الفتيان الذين تشبّهوا بالنساء، في الملبس وإطالة الشعور والخضاب، وتزجيج الحواجب والعيون والتزيين بالحليّ، وفي هذه البيئة المنحلة بيئة التخنّث نشأ أبو العتاهية الشاب الشاعر،فوجد ما يفضي به وطره. لينظمّ إلى حركة المخنثين وحمل زاملتهم[5]،

وإذا ماذكرنا علاقة أبي العتاهية بالجواري، نذكره في قصته مع "سعدى" لما عاد إلى الكوفة متحسرا وحاقدا، لكونه كان يتمنى نيل جوائز المهدي ببغداد، لكنّه فشل في ذلك، وفي طريق عودته إلى الكوفة عن طريق الحيرة، التقى بفتاة تدعى "سعدى" فأعجب بها وبحسنها وجمالها، وهي مولاة عبد الله بن معن، وكانت نائحة في الحيرة، ولعلّ العلاقة

---

[1]– ينظر احمد أمين، ضحى الإسلام، ص144.

[2]– ينظر محمد شاكر، التاريخ الإسلامي للدولة العربية، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ص8.

[3]– القرآن الكريم، سورة الإسراء الآية 16.

[4]– ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، المقدمة، تحقيق المستشرق أ.م. كاترمير عن طبعة باريس 1958، مكتبة لبنان، بيروت، مج2، الفصل 18.

[5]– ينظر الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ج14، ص104، والأغاني، ج14، ص53.

بينهما كانت قائمة على المنفعة، بحيث كان أبو العتاهية يقول الشعر ويذكر فيه الموت والتزهّد في الدنيا لتنوح هي به، ولعلّ هذا كان من الأسباب القوية التي جعلته يقول الشعر في الزهد في بواكر حياته الفنية، ويهتم بذكر الموت خاصة، ومهما يكون فقد ظلّ أبو العتاهية يشيب بسعدى، رغم أن مولاها "أبا الفضل" عبد الله بن معن بن زائدة كان يهواها هو الآخر، وقد هدّده أبو الفضل ونهاه أن يتعرّض لمولاته "سعدى"[1] فردّ أبو العتاهية: أَلا

قُل لابن مَعنٍ ذا ال لَذي في الوُدِّ قَد حَالا

لقد بلِغتُ ما قَالا فما بَاليتُ مَا قاَلا

ولَو كَان من الأُسدِ لما راعَ ولا هَالا

فَصُغ ما كُنتَ حَلَّيتَ به سَيفَك خُلخَالا

وما تصنَعُ بالسَيفِ إذا لم تَكُ قَتالا

ولَو مدَّ إِلى أُذنيَ هِ كفَّيه لما نالا

قصِير الطَول والطولِ فلا شبَّ ولا طَال

أرى قَومَك أبطالا وقد أصبَحتَ بَطأَّلا[2]

ثم كان ما لقيه من عنت مولاها الذي أنزل به فيما بعد شعره في التشبيب

بسعدى، ليس منه بين أيدينا شيء، قد يكون ابن معن له أثر في موت هذا الشعر، ولعل أبا العتاهية نفسه هو الذي أراد له هذا الموت،بعد أن طلب الزهد ورغب في القضاء على التشبيب الذي قاله في صباه وغيره من أشعار المجون. وقد ظلّ حبّه ل "سعدى" كامنا في قلبه، حتى بعد أن نزل بغداد، إلى أن أيقضه حب جديد، لما كان أبو العتاهية يلقي

[1]–ا ينظر لأصفهاني، الأغاني، ج4، ص24.

[2]–الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص24.

الشعر في مجلس المهدي أعجب بجارية من جواري زوجته، وهي "عتبة" فتغنّى في أشعاره بها وبمحاسنها وجمالها[1]،

– لما سئل أبو العتاهية عن قصته مع عتبة روى أنه وقتها قدم من الكوفةصحبة فتيان شباب، وليس لهم من يقصدونه ، فنزلوا إلى غرفة بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون في المسجد الذي بباب الجسر كل غداة، فمرت بهم يوما امرأة راكبة معها خدم سودان ، فقالوا منهذه ؟ قالوا: خالصة، فقال أحدهم : قد عشقت خالصة وعمل فيها شعرا فأعاناه عليه ،ثم يلبثوا حتىمرت أخرى راكبة معها خدم بيضان ، فقالوا من هذه ؟ فقالوا : عتبة ، فقال أبو العتاهية قد عشقت عتبة، وبقوا علا ذلك الحال الى أن جمعوا أشعارا كثيرة ، فدفع صاحبه شعره ألى خالصة ، ودفع شاعرنا شعره الى عتبة ، وألأحوا إلحاحا شديدا ، فمرة تقبل أشعارهما ومرة يطردا ، فجلست عتبة يوما في أصحاب الجوهر ،| فلبس أبو العتاهية ثياب راهب ، وسأل عن رجل كبير من أهل السوق ، فدل على شيخ صائغ فأتى إليه ، "فقال : إني قد رغبت في الإسلام يدي هذه المرأة "، فقام معه وجمع جماعة من أهل السوق وجاءها ، فقال :" إن الله قد ساق إليك أجرا ، هذا راهب قد رغب في الإسلام على يديك ، قالت : هاتوه فدنوت منها "، فقال : "أشهد أن لا إله ألا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله "، ثم دنى منها فقبّل يدّها ، فلما فعل ذلك رفع البرنس عرفته ، "فقالت : نحوه لعنه الله ، فقالوا: لا تلعنيه فقد أسلم ، فقالت : إنّما فعلت ذلك لقذره ، " فعرضوا عليه كسوة فقال :" ليس بي حاجة إلى هذه ، وإنّما أردت أشرف بولائها

[1]– ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص269.

، فالحمد لله الذي منّ عليّ بحضوركم وجلست ، فجعلوا يعلمونني الحمد وصليت معهم العصر ، وأنا في ذاك بين يديها أنظر إليها لاتقدر لي على حيلة فلما انصرفت لقيت خالصة ،فأرادتا أن تمتحناهما في عشقهما ،فلما كان الغد مرت خالصة فعرض لها صاحبه ، فطلب منه الخدم أن يتبعه فاتبعهم ،ثم مرت عتبة ، فطلب الخدم من أبي العتاهية أن يتبعهم فتبعهم ن فإذا به تطلب منه أن يكف عن ملاحقتها وإلا ستشكوه إلى امير المؤمنين ، فرفض ذلك ،ورأى أنّ الحبس أهون إليه من بُعدها ،" فقالت : ابق على نفسك وخذ هذه الخمس المائة الدينار ، واخرج عن هذا البلد "، فلما سمع أبو العتاهية ذكر المال ولّى هاربا ، فحاولت أن ترده وتضاعف له المبلغ لكنه رفضن وإذا به يلتقي بصاحبه موروم الأذنين ، وقد امتحن بمثل محنته فلمّا مدّ يده للمال صفعوه ، وحلفت خالصة لإن رأته مرّك أخرى لتودعنّه الحبس ، فصحّ عند عتبة أني محب ، وأن صاحبي عابث[1] .

وأول شعر قاله فيها حينذاك:

راعَني يا زيدُ صوتُ الغُراب بحِذاري للبين من أحبابي

يا بلائي ويا تقلقل أحشا ئي ونفسي لطائر نعاب

أفصح البين بالنعيب وما أف صح لي في نعيبه بالإياب

[1]- ينظر الخطيب البغدادي /تاريخ بغداد المجلد 07- ص 226

فاستهلّت مدامِعِي جَزعًا منـ ـه بِدمعٍ ينهلّ بالتَسكاب

ومَنعتُ الرُقادَ حتى كأنّي أرمَدُ العَينِ أو كحلتُ بِصابِ

قلت للقلبِ إذ طوى وَصَل سُعدى لهواه البعيدةَ الأسبَابِ

أنت مثل الذي يفُر من القط ر حذارَ الندى إلى الميزاب [1].

هذه النغمة الحزينة تصوِّر شعوره الحائر الخافق الذي يلحّ على نفسه في صورة متشائمة، يرهق نفسه بسماع صوت الغراب،الذي أفصح عن ذلك البين الذي انتهى عنده هواه لسعدى، ولم يفصح عن أمله في العودة إليها، لأنّه تعلّق بغيرها، ويحسّ أن يصيبه من التعاسة والبلاء في هذا الحب ما أصابه في حبّه الأول كمن يهرب من قطرات الندى ليجد نفسه وقد أغرقه الماء، فيقرع أذنه صوت الغراب الذي يتطيّر به، ويربط تطيّره هذا بنصيبه من الإخفاق في حبّه الجديد، ولا تفوته حين يذكر "سعدى" وهواها صورة أخيه زيد الذي يناديه وكأنّه يستصرخ عونه لينقذه من صوت الغراب، وهل له أقرب رحما وأشدّ عونا بين الناس من أخيه؟[2]

ولكنّه على الرغم من هذا الحسّ الخفي بمستقبل هواه وممّا يتوقعه من أهوال لا يتقاعس، ويستمر بالتشبيب بجارية الخليفة غير عابئ بقسوة هواجسه، فتغنى في أشعاره بـ "عتبة" وأكثر من تغزّله بها، فأخبرت مولاتها بذلك، والتي بدورها أخبرت المهدي بالأمر، فأمر بسجنه وضربه مائة سوط، ولكن لم يلبث طويلا، إذ شفع له يزيد بن منصور الحميري "خال المهدي" فردّ حريته[3].

---

[1]–أبو العتاهية وخصائص شعره، دراسة لنيل درجة سرجان مانيورا بمكاسر، 2014، ص41–42.

2– ينظر شوقي ضيف .ص 06

3– ينظر نفسه.ص 06

ويروى أنّه يوما شكت "عتبة" شاعرنا إلى مولاتها، فوجدها المهدي تبكي بين يدي الخيزران، فسألها عن سبب بكائها فأخبرته فطلب المهدي إحضار أبي العتاهية، وسأله هل أنت القائل:

اللهُ بَيني وبَينَ مَولاتي أبدَت لِي الصَدَّ والمَلاماتِ

لا تَغفِرُ الذَنبَ إن أَسَأتُ ولا تَقبَلُ عُذرِي ولا مُؤاتاتِي

مَنحتُها مُهجَتي وخَالصَتي فكَانَ هِجرانُها مُكافَاتي

هَيَّمَني حُبُّها وصَيَّرَنِي أُحدُوثَةً في جَميعِ جَاراتِي[1]

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك؟

فردّ أبو العتاهية: بل أنا الذي أقول:

يا ثاق خبي بنا ولا تَعدي نَفسَكِ فِيمَا تَرين راحَاتي

حَتى تُناخِي إلَى مَلِكٍ تَوجَّهُ اللهُ بِالمَهابَاتِ

يَقُولُ للرِيحِ كُلَّما عَصَفت هَل لكِ يا ريحُ فِي مُبَاراتي

عَليهِ تَاجَان فَوقَ مَفرِقِهِ تَاجُ جَلالُ وتَاجُ إخبَاتِ

مَن مِثلُ مَن عَمُّهُ الرَسولُ وَمَن أَخوالُهُ أَكرَمُ الخَؤولاتِ[2]

فنكس المهدي رأسه، ثم رفعه فقال: هل أنت القائل:

أَلا مَالي لِسَيدتي مالَها أَدلَا فاحمِل إذلالَهَا

1- المسعودي .مروج الذهب ج1.ص 301

2- المرجع نفسه .ص 301

وإلا فَفيم تَجنَّت ومَا جَنيتُ سَقَى اللهُ أَطلاَلَها

ألا إنَّ جَاريةً للإما مِ قَد أُسكِنَ الحُبُّ سِربَالهَا

مَشَت بَينَ حُورٍ قِصَارِ الخُطَا تُجَاذِبُ فِي المَشيِ أَكفالَهَا

وقَد أَتعَبَ اللهُ نَفسِي بِهَا وأَتعَبَ بِاللَومِ عُذَّالَهَا

كأَنَّ بِعينيَّ في حَيثُما سَلكتُ من الأرضِ تِمثالَهَا1

وما علمك بما يحوى سربالها؟أجابه:

أَتَتهُ الخِلافةُ مُنقادَةً إِليهِ تُجَرِّر أَذيَالَها

ولَم تَكُ تَصلُحُ إلا لَهُ ولم يَكُ يَصلُحُ إلا لَها

ولَو رَامَها أَحَدٌ غَيرُهُ لَزُلزلَت الأرضُ زِلزالَها

ولَولمَ تُطِعهُ بَناتُ القُلوبِ لمَا قَبِلَ اللهُ أعمَالَها

وإِنَّ الخَليفةَ مِن بَعضِ لا إليهِ لَيُبغضُ مَن قَالَها2

فسأله عن أشياء أفحم أبو العتاهية في الجواب، فجلد بالسوط، رأته عتبه على هذا الحال فقال لها:

بَخٍ بَخٍ ياعُتبُ من مِثلُكُم قَد قَتلَ المَهديُّ فِيكُم قَتيلا

1- ديوان ابي العتاهية .ص 320

2- المرجع نفسه .ص 375

فبكت "عتبة"، رآها المهدي فسأل عن سبب بكائها، فقيل له أنّها رأت أبا العتاهية مجلودا، فقال لها: كيت كيت ،فأمر لشاعرنا خمسين ألف درهم، فوزعها أبو العتاهية على من كان بالباب، ولما سئل عن سبب ذلك قال: ما كنت لآكل ثمن من أحببت[1].

وبقي على هذا الحال حتى عهد الرشيد وهي ترفضه، فبعث أبو العتاهية للرشيد ثلاث مراوح مكتوب على الأولى:

وقَد تَنسَّمَتُ الرِياحَ لِحاجَتي فَإذا لَها مِن راحيتِكَ شَميمُ

فقال:أحس الخبيث، وعلى الثانية:

أَشربتُ نَفسِي من رجائِك ماله عنَقٌ يَخُبُّ إليك بي ورسِيمُ

فقال: قد جاد، وعلى الثالثة:

ورَميتُ نَحو سَماءِ جودِكَ ناظِري أرعَى مَخَايِل بَرقهِ، وأشِيمُ

ولَرُبَّما استَيأستُ ثُمَّ أقُولُ: لا! إنَّ الذي ضَمِنَ النَجاحَ كَريمُ[2]

فقال: قاتله الله، ما أحسن ما قال؟ ثم وعده أن يضمن حاجته في الغد، فلما طلب عتبة قالت: "أنا أمتك وأمرك نافذ في ما خلا أمر أبي العتاهية، فإنّي حلفت لأبيك رضي بكل يمين يحلف بها بار وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية كلّما انقضت عني

حجة وجبت علي أخرى لا أقتصر منها على الكفارة، وكلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلي فيه، وبكت بين يديه،فرقّ قلبه ورحمها وانصرف عنها[3]، فلمّا أخبر الرشيد شاعرنا بالأمر يئس منهافقال:

[1]– ينظر المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 301–302.

[2]–ديوان أبي العتاهية، ص407.

[3]–المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص339–340.

قَطَعتُ مِنكِ حَبائلَ الآمالِ وحَططتُ عَن ظَهرِ المَطيّ رِحَالي

ويئِستُ أن أبقَى لشيءٍ نلتُ مـ ما فيكِ يا دُنيا وأن يَبقى لي

ووجَدتُ بردَ اليَأسِ بين جَوانِحي وأرحتُ من حَلّي ومِن تِرحَالي

ولئن طَمعتُ لِرُبَّ بَرقَةِ خُلَّبٍ بَرقَت لِذي طَمعٍ ولَمعةِ آلِ

ماكان أشأم إذ رجاؤك قاتلي وبنات وعدك يعتلجن ببالي[1]

وقيل لما اتصل بالرشيد قال:

ألا إنَّ ظَبيًا للخَليفةِ صَادَني ومَالي عَن ظَبي الخَليفةِ من عُذرِ[2]

فغضب الرشيد واعتبر تصرفه هذا سخرية منه، وطلب من خادمه "تنجاب" بحبسه، فقال:

تِنجَاب لا تَعجَل عَليّ فليَس ذا مِن ورَائه

ما خَلت هَذا فِي مَخا يل ضَوء بَرق سضمائِه [3]

ومن بين ما قاله في حبسه الذي طال:

إنَّما أَنتَ رَحمَة وسَلامَة زَادَك اللهُ غِبطةً وكَرامَه

قِيل لِي قَد رَضيتَ عَني، فَمن لِي أَن أَرى لِي عَلى رِضَاكَ عَلامَة[4]

---

[1]–ديوان أبي العتاهية، ص225.

[2]–المرجع نفسه، ص15.

[3]–ديوان أبي العتاهية، ص17.

[4]–ديوان أبي العتاهية ، ص408.

فقال الرشيد: "قاتله الله ! لو رأيته ما حبسته،وإنّما سمحت نفسي بحبسه لأنّه كان غائبا عني، وأمر بإطلاق صراحه [1]

لقد كتب أبو العتاهية في حبّه لعتبة الكثير من الأشعار، إلى أن اشتهر بها، وأجود ما قاله فيها قوله:

يا عُتبُ سَيدتِي أَمالك دينُ؟ حتَى مَتى قَلبي لَديكِ رَهينُ؟

وَأنَا الَذلولُ لِكلِّ ما حَمَّلتِني وَأنَا الشَقِيُّ البَائسُ المِسكينُ

وَأنَا الغَداةَ لِكلِّ بَاكٍ مُسعِدٌ ولِكلِّ صَبٍّ صَاحبُ وخَدينُ

لابَأسَ إنَّ لذاكَ عِندي راحةً للَصبِّ أَن يلقَي الحَزينَ حَزينُ

ياعُتبُ أينَ أَفرُّ مِنكِ أَميرتِي وعَليَّ حِصنٌ من هَواكِ حَصِينُ[2]

وقد قيل لأبي العتاهية كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردته قط إلا مثل لي، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد كما قيل أنه(قال: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت)[3]، ومن أشعاره المستحسنة في الغزل وقوافيه الغريبة قوله:

أخِلايَ بِي شَجوٌ ولَيسَ بِكم شَجوُ وَكُلُّ امرِئٍ مِن شَجوِ صَاحِبِهِ خِلو

رَأيتُ الهَوى جَمرَ الغَضا، غَير أنَّهُ عَلى كِّل حَالٍ عِندَ صَاحبِه حُلو

أَذابَ الهَوى جِسمِي ولَحمي وقُوَّتي فلَم يَبق إلا الروحُ والجَسَدُ النضوُ

وما من مُحِبٍ نَال ممن يُحبُّهُ هَوى صَادقًا إلا سَيدخُلُهُ زَهُو

[1]–المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص341.

[2]–ديوان أبي العتاهية، ص458.

[3]–ديوان أبي العتاهية ص9.

وإنّي لنَائي الطَرفَ مِن غَير خِلَّتي ومَالي سِواها مِن حَديث ولا لهوُ

لَها دُونَ إخوَاني وأَهلُ مَودَّتي مِنَ الوُدِّ مِني فَضلة، ولَها العَفوُ [1]

ومن بين ما قاله في الغزل في الأوزان التي ابتكرها، قوله:

عُتبُ مَا للخَيال خَبرينِي ومَالي

لا أرَاهُ أتَانِي زائرًا مُنذ لَيالِي

لَو رآنِي صَديقِي رق ليأورثى لي

أو يراني عدوي لان من سوء حالي [2]

فقد اختصّ شاعرنا بفنين من فنول الشعر، واشتهر بهما، وهما الغزل والزهد، وما عدا ذلك فلا يعد أن يكون شعر مناسبات، وما قاله في الأغراض الكبيرة المعروفة كالمدح والهجاء والعتاب... فلم يكن سوى تعبير عن عاطفة تثيرها المناسبة الخاصة بها، والحقيقة أن شعر أبي العتاهية يعتبر صورة صادقة لتطور مراحل حياته الوجدانية والعقلية والنفسية، وما يتبعه من نمو عاطفة وكسب تجربة وتعقد رغبات، كما أنّه يصوّر كثير من جوانب البيئة والعصر،

فنلمس في غزله العاطفة الشديدة واللطف واللين، رغم ما تلقاه من سجن وضرب، وقد جاء غزله ب "عتبة" مستهلا الكثير من قصائد المدح، فغزله غزل القلب المشتاق المحب المتيّم، وفي الحقيقة حبّه هذا لا يدلّ على أنّه ماجن لأنّه غزل عفيف وليس بالصريح الماجن كما كان معروف به أبو نواس، إلا أنّنا بإمكاننا من خلاله أن نخلص إلى أنّه لم يكن من الزاهدين في تلك الفترة، كما يمكننا القول بأنّه كان يميل إلى اللهو

[1]–ديوان أبي العتاهية ، ص 479.

[2]–ابن المعتر، الشعر والشعراء، ص498.

أكثر منه إلى المجون وخاصة في غزله، إذ لو قارنا غزله بغزل أبي نواس لا تضح ذلك جليا.لنرى قوله:

ياإخوتِي إنَّ الهَوى قَاتِلي فيَسّروا الأكفانَ مِن عَاجلِ

ولا تَلومُوا في اتّبَاعِ الهَوى فإنَّني فِي شُغُلٍ شَاغلِ

عيني على عُتبةَ منهلَّةٌ بدمعها المُنكسب السَائلِ

يامَن رَأَى قَبلِي قتيلاً بَكى من شدَّةِ الوجدِ على القاتلِ

بسطتُ كفّي نحوكم سائلاً ماذا تردُّون عَلَى السَائِلِ

إن لَم تُنِيلُوهَ فقولُوا لَهُ قَولا جَميلا بَدل النَائل

أو كُنتم العامَ على عُسرةٍ منه فمنوُّه إلى قابلِ

كأَنّها من حُسنهِا درَّةٌ أَخرَجَها اليَمُ إلى الساحِلِ

كأَنَّ في فيها وفي طرفِها سواحرًا أقبَلن من بابلِ

لمَ يَبقَ منّي حُبُّها ماخَلا حُشاشةً في بدَن ناحلِ[1]

فقد استعمل أبو العتاهية في مجمل شعره المعاني القديمة المعروفة،إلاّ أنّه ساقها في بحور رشيقة مضطربة، وأتى أحيانا بابتكارات جميلة، مثل قوله:

ولَقد طَرِبتُ إليك حَتى صِرتُ مِن ألَمِ التَصابِي[2]

[1]–ديوان أبي العتاهية، ص386.

[2]– التصابي:الميل إلى الصبى (معجم الوسيط).

يجِدُ الجَليسُ إذا دَنا ريحَ الصَبابةِ مِن ثيابِي[1]

ويقول أيضا :

أحمد قال لي ولم يدر مابي أتحب ، الغداةَ، عُتبةَ حقًّا ؟

فتنفستُ ثُم قلتُ : نعم ا حبًا جرى في العروقِ عِرقاً ، فعِرقاَ

لو تجسّين ، ياعتبةُ ، قلبي ، لوجدتِ الفؤادَ قرحاً تفقّ

قد لعمري ، ملّ الطبيب وملّ ال أهل منّي ، ممّا أقاسي وألقى

ليتني مت ، فاسترحتُ ، فإنّي ، أبداً ، ماحييتُ ، منها ملقّى[2]

[1]– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص420.

[2]- ديوان ابي العتاهية. ص 299

الفصل الثالث:جدلية الزهد عند أبي العتاهية

- أولا / تحوله إلى الزهد
- ثانيا/ دوافع وأبعاد تجربته الزهدية
- ثالثا /مصادر شعره الزهدي
- رابعا/أبو العتاهية والتصوف

إن الزهد في العصر العباسي نشأ بتأثير كثرة الترف، والدعوة إلى الرجوع إلى البساطة، وتغليب جانب الفقراء ونقد المجتمع، فحين انتشرت موجة الفساد والانحلال الخلقي في المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر نشط أئمة آل البيت والصالحون من وعّاظ وزهّاد في دعوة الناس إلى حياة التقوى والصلاح، وتحذيرهم من السقوط في أوحال الأهواء والشهوات،وتذكيرهم بحقيقة الدنيا واليوم الآخر.

وقد وفّر الانقلاب العباسي للعرب رخاء العيش، وامتدت موجة الترف ،فأنشد الشعراء للناس أغاني المجون، واندفعت في الوقت نفسه على بلاد العرب مجاري الحكمة، فنشأت في كل ذلك نزعة زهدية تواصل الحركة التي نجدها في الأدب العربي منذ أقدم عصوره.

فالزهد نزعة قديمة قدم الإنسان نفسه، لا ترتبط بدين معيّن ولا بأمّة معيّنة، فكانت في الجاهلية، وعرفت في الإسلام، غير أنّها أخذت مفاهيم مختلفة عبر العصور، ففي الجاهلية ظهرت في أقوال الحكماء خاصة عند الشيوخ، وتداولها بعض الشعراء في ثنايا قصائدهم، إلاّ أنّها لم تظهر بعمق الفكرة، ولم يكن لشعرها مقومات تجعل منها فنّا مستقلا بذاته.

وبقي الأمر على ذلك الحال عصر بني أمية، ونظرا للظروف التي عاشها المسلمون آنذاك من فتن وأحداث، منهم من لجأ إلى الاعتكاف في بيئة بعيدا عن هذه الأحداث...

فإذاً ظهرت بذور الزهد الأولى في العصر الأموي لأسباب المعيشة، وكذا نشاط مجالس الوعظ التي عمل فيها الواعظون على النصح والوعظ والإرشاد، فيذكرونهم بالموت

وما يعقبه من أهوال وحساب، فكان الحديث عنها لا يتجاوز مقطوعات متناثرة لم يظهر له شعراء خاصين به[1].

وما إن بدأ القرن الثاني الهجري حتى أصبح لهذا الشعر خصائصه ومقوماته الخاصة، فانتشر بقوة وشاع،وأعجب به الخاص والعام.

فكلمة الزهد تشير لغويا إلى عدم الرغبة والإعراض عن الشيء، وتركه مخافة الحساب أو العقاب، لاحتقاره أو قلته أو التهرب منه، وزهد في الدنيا يعني ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقابه، فهو الانصراف إلى العبادة وترك ملذات الدنيا والإعراض عنها احتقارا لها[2].

فالشعراء الزهاد يعيشون بعيدين عن الدنيا وملذاتها، فنجد أكثرهم نهجوا نهج المجون والفساد ثم تابوا بعد ذلك، فإذا كان الشباب يمثل القوة والإقبال على الشهوات، فإن الشيخوخة هي مرحلة ضعف وتأمل وتفكير وإخلاص لما هو روحاني وتأمل في حياة الناس وطباعهم، والبحث عن أسباب وعلل الأشياء، والميل للحياة الروحية ومحاولة كشف العلائق بين الأشياء وأهمية الحياة، بدايتها ونهايتها، فيستدرك ما فاته من ضلال شبابه، وهكذا يجد نفسه قد تخطى مراحل عديدة،وهو ضمن مرحلة الزهد عن الدنيا بعد أن بدت له سوءاتها وتفاهتها[3].

وفي هذا المعنى يقول أبو نواس:

وما ساس أمرا كذي شيبة بصير بما ساس مستوثق

---

[1]– ينظر شوقي ضيف، أمراء الشعر العربي، ص9.

[2]– ينظر باسل زيدان، معجم الجامع، إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار العلم للملايين ص180.

[3]– ينظر عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره في القرن 3هـ،مكتبة الأنجلو المصرية، 1904، ص187–188.

وما أحكم الرأي مثل امرئ يقيس بما قد مضى ما بقي[1]

وعموما إذا ما كان الإنسان بعيدا عن أمر ما، منقطع العلائق به، فيستطيع الحكم عليه وكأنّه يراه في مجمله، فيسهل الحكم عليه فيما يراه، أما إذا دنا منه ودخل فيه فمن العسير أن يتوصل إلى حكم سديد فيما هو فيه. كذلك الشباب فإذا ما تخطى الإنسان مرحلة الشباب استطاع أن يرى منافذ شبابه ومنعرجاته، فيصدر حكمه فيه، وحكمه هذا يعدّ أقرب إلىالصواب والسداد، حيث يعرف مدى التفريط في تلك المرحلة في عبادة الله، أما شيخوخته فتبصّره وتبين له سبيله السوي[2] كقول الشاعر:

لله در الشيب من واعظ وناصح لو خطي الناصح[3]

ويصحب في الغالب الشيخوخة الندم عما فات. وإبداء التوبة، فتأتي الأشعار بذلك أكثر دقّة، والماجنون حيث يزهدون يصبح شعرهم قيثارة تندب بأوتار الندم والخوف، ولهم شمائل تنفخ بالوداعة واللين. ومن هؤلاء التائبين آدم بن عبد العزيز الذي كان من قبل ماجنا فاسدا ثم زهد وتنسّك[4]. ومن قوله:

اسقِني يا مُعاوِية سَبعة أو ثَمانية

اسقِنيها وغنني قبل أخذ الزبانيه

اسقنيها مدامةً مزة الطعم صافية[5]

فأدمن شاعرنا على شرب الخمر وما إن وصل إلى مرحلة شيخوخته أقلع عن هذا الشرب وتزهّد في آخر عمره. وفي ذلك الشرب قال:

---

[1]– ديوان أبي نواس، ص188.

[2]–ينظر عبد الحكيمِ حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره في ق 3هـ، ص163.

[3]–ينظر ديوان أبي نواس، وضعه ورتبه الكاتب محمود كامل فريد، مطبعة حجازي بالقاهرة، سنة1937، ص 137.

[4]– ينظر زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة بمصر، 1938م، ط1، ح1 ص09.

[5]– نفس المرجع.ص 9.

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ليجزيه عن صبره الغد قادر

شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر[1]

فهو يترجّى الله أن يغفر له ذنبه المتمثّل في شرب الخمر، فهو يقرّ بذنبه ثم يطلب العفو من خالقه. لأنّه تاب عن فعل الشرب.

إذ قد تتوب جماعة، ولكن لكل فرد منها دافع معيّن يدفعه للتوبة، فقد يكون دافع أحدهم عظم ذنبه، وآخر خوف من ربّه، أو لإحساسه بفقدان احترامه لنفسه، وآخر طمعا في نيل ثواب خالقه[2]..

فأبو العتاهية "رجل ساقته المقادير إلى وضع عجيب في تناقضه وتعدّد وجهاته ووفرة تعبيراته، فجاء مثال عصره كله وعصارة الحضارة التي كونته،إن في عنف أهوائه وحرارة عواطفه، وإن في تقلباته العقلية والنفسية. وإن في تشعب مواهبه. وتضارب مسالكه بين فترة وفترة في عصره، ذلك الرجل كان عبقريا. ومخبولا حاذقا في آن واحد، فكان عاشقا من الطراز الأول، نزلت إحداهن من قلبه منزلة ليس لها ما يدنيها غير منزلة ليلى في قلب قيس أو بثينة في قلب جميل، ثم أصبح زاهدا متورعا لافتا لكل الأنظار، فعدّ المصباح الذي ألقى النور على حياته، وهذا هو موضع التعجب من سيرته كلها. ويفسر إلى حد بعيد جميع ما حملت به من غرائب ونقائض"[3].

فقد كان رافضا لنظام مجتمعه. خاصة إذا ما وجدنا أن هذا المجتمع قائم باعتقادات واهية،كجعل كل من يملك صنعة أو عملا وضيعا حقيرا. ومن لم يكن من

[1]– عبد الحكيمِ حسان، التصوف في الشعر العربي، ص188.

[2]– ينظر الأصفهاني الأغاني، ح14، ص60.

[3]– عبد اللطيف شرارة، أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الغائب، ص 09.

الأثرياء أو عربيا أصيلا. أو له نسب صريح ترتفع به القبائل العريقة يعد إنسانا مذبذبا[1]...فكيف إذا كان مطعونا في دينه أو عقيدته؟!

عاش أبو العتاهية حياة الشعراء الماجنين. كما عاش حياة المتصوفينالمتعبدين. وانعكس ذلك في شعره رقة وحكمة، فبحنكته وتميزه في قوله للشعر لم يصل أبو العتاهية فقط إلى بلاط الخلفاء كما كان يحلم في بداية حياته، وإنّما وصل إلى قلوب الزهاد والمتصوفين أيضا.

أولا/- تحوّله إلى الزهد:

عاش أبو العتاهية بداية القرن الثالث هجري حيث بدأت الحركات الصوفية في الظهور،لتشكل فيما بعد المذاهب الصوفية التي اعتمدت أفكار ومعاني جديدة، وجدت في شعر أبي العتاهية، وان لم ينتم إليها ويسلك طريقها، فتحدث عن النفس وتماديها في هواها، وزهد في الدنيا رغم رغبته فيها، وأيضا تكلم عن الإرادة والغيب والشهادة، وهي معاني صوفية حيث قال:

أَلا مَن لِنفسٍ بِالهَوَى قَد تَمَادَتْ إذا قُلتُ قد مَالت عَن الجَهلِ عَادتِ

وَحسْبُ امرِئٍ شَرا بِإهمَالِ نَفسِه وإمكَانِها مِن كُلِّ شَيءٍ أَرادَتِ

تَزاهَدتُ فِي الدُنيا وإنّي لَراغِبُ أَرَى رَغبَتِي مَمزُوجَة بِزهَادَتي

إرَادةُ مَدخُولٍ وعَقلُ مُقصّرٍ وَلَو صَحَّ لِي عَقلِي لَصَحَّت إرادَتي

ولو طَابَ لي غَرسِي لطَابت ثِمارَه وَلوصَحَّ لِي غَيبِي لصَحَّت شَهادَتي[2]

[1]- الخليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص 15-16.

[2]- ديوان أبي العتاهية ص233.

هنا يرى الشاعر أنّه أهمل نفسه، هذه النفس التي تمادت في هواها وجهلها، حتى أنّها لم تصدق في زهدها، وهذا معنى صوفي، حيث جعل الصوفية نفوسهم عدوة لهم، "إذ هي التي ترغبهم في الحياة وتدفعهم إلى الشهوات، فيحذروها وأوقفوا رغباتها"[1]، وأدق تاريخ لتنسك الشاعر هو سنة 180م، يقول ابنه: "كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والحوافز فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهّد، وترك حضور المنادمة، والقول في الغزل، فأمر الرشيد بحبسه فحبس."[2]

وإذا ما تساءلنا عن سبب هذا التزامن بين تنسك الشاعر وذهاب الخليفة إلى الرقة فسنجد أنّه أغلب الظن أن الرشيد كما يقول عبد العزيز الكفراوي في كتابه "أسطورة الزهد" قد أحسّبتضييق الخناق عليه من طرف "زبيدة" ومن خلفها من آل البيت، والتجسس عليه في حركاته وسلوكياته ناكرين عنه حبّه للبرامكة، وتفويضه أمور الحكم لهم وتسامحهم لهم، فلعلّه ضاق منهم بما يكنّون في صدورهم، فأراد الرحيل عن كل هذا إلى أين يجد راحته وراحة ضميره،إلى الرقّة، ولكن "زبيدة" لم تتركه حتى أعادته إلى بغداد، وما إن عاد حتى التقى والشاعر قد تنسك، ويقول "محمد عبد العزيز الكفراوي": أن شاعرنا قال في الزهد حتى يعيد الرشيد إلى زبيدة ويبعده عن كل لهو وصخب صحبة جعفر البرمكي[3]– لكن أغلب الظن أنه تزامن غير مقصود– إذ له دوافع وأسباب سنذكرها فيما بعد،ولمّا أراد الرشيد إعادة الشاعر إلى قول الغزل رفض، فضرب وسجن حتى استعطفه فقال:

إنّما أنتَ رحمَة وسَلامة زادَك الله غِبطة وكَرامة

[1]– عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1904، ص224.

[2]– محمد عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، دار النهضة بمصر، 1972، ص7.

[3]– ينظر نفسه، ص 44–46.

لو توجعت لي فَروّحت عليّ روَّح الله عَنك يوم القيَامة[1]

فأطلق صراحة[2].

ويسير الشاعر في دربه الجديد بذكر الموت والعقاب والحساب، ودعا للأخلاق الحميدة ونبذ الفسق والمجون... حتى أنّ صاحب الأغاني ذكر في رواية له أن الرشيد لما ضرب الشاعر وحبسه بعد رفضه في قول الغزل، أقسم الشاعر ألاّ يتكلم إلا بالقرآن أو الشهادتين فلمّا مضى عام وهو على هذا الحال أراد أن يتخلّص من سجنه[3] فقال:

مَن لِقلبٍ مُتيّمٍ مُشتَاق شَفَّه شَوقهَ وطُول الفِراق

طَال شَوقي إلى قَعيدة بَيتي لَيت شِعري فَهل لِناس تَلاقي

هِي حَظّي قد اقتَصرتُ عَليها مِن ذوات العُقودِ والأَطراف

جَمعَ اللهُ عَاجلا بِك شَملِي عن قريبٍ وفَكّني من وِثاقِي[4]

فبعد أن اعتزل القول في الحب قال هذه الأبيات في زوجته، وان استبعد "الكفراوي" هذا الأمر، لأنّه لم يذكرها يوما في شعره فكيف يذكرها الآن، ويميل الكفراوي إلى قول أنّه يقصد من وراء قوله "زبيدة" حتى يذكرها الرشيد ويقربها منه، ثم إن زبيدة لم تفعل ذلك مع أبي العتاهية فقط، بل أيضا مع شعراء آخرين وإن كان يرى أنّها تعاملت مع شاعرنا أكثر، وعلى حسب قوله أنّها حرّضت الشعراء على قول الشعر ليعيد الرشيد

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص408.

[2]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص28–98.

[3]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص140.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص50.

إلى بغداد، وفاز في هذه المسابقة "منصور النميري" ويقال أنّها أعطته خاتما قيمته ثمانمائة ألف درهم[1].

ولقد استعمل الشاعر وأكثر من ذكر الموت وجعله سلاحه الأكثر أهمية في شعره الزهدي، كما أنّه يريد التنفيس به عن روحه، فيوجّهه ويذكّر به كل جبّار وظالم في الأكثر، فنجده وهو في مواعظه يقحم الموت في ثنايا قوله، ليبيّن أنّه المصير المشترك بين كلّ النّاس، حيث لا تنفع فخفخة الأثرياء، ولا نعيمهم الدنيوي ولا كبريائهم، ولا يتوقف عند ذكر الموت بل يستعمل التهديد والوعيد لهؤلاء وأمثالهم، لعلّهم يحيدون عن سلوكياتهم المذمومة، ولم يكن هذا إلا امتدادا لحقده الأول، وتلبية لنقمته ممّن ظلموه، وتحقيقا للمساواة بين الطبقات الاجتماعية وتوفير حاجيات الطبقات المقهورة ومساعدتها، وكل هذه المعاني يصل إليها انطلاقا من فكرة الموت[2]، فيقول مثلا:

كأنّك قد جُهّزت تُدعى إلى البلى لنَعشِك فِي أيدِي الرِجال أطيطُ

وصِرتَ إلى دَارِ هِي الدارُ لا التِي أقَمتَ بِها حيًّا وأنتَ نشيطُ

محل به الأقدام ويحك تستوي فصيد كرام سادة ونبيطُ[3]

ولإيمانه بأنّ الموت هو الحل الأحسن والوحيد لمشكلاته خاصّة النفسية، نجده لمّا يسأل عن أحسن ماقال، يقول:

والنّاس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن[4]

[1]–ينظر محمد عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد، ص115.

[2]–ينظر المرجع نفسه، ص 63–64.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص 306.

[4]– الأصفهاني، الأغاني، ج 3، ص 151.

فلا يشفق لا على نفسه ولا على الناس من هذه الموت، وإنّما يتمنى أكثر منها، وأقوى عذابا، فيقول "تطحن"، وقد قال يوما لما رأى موكب "حميد الطوسي" أحد كبار القادة في عصره:

للَموتِ أنباءٌ بهم ماشئت حلق وتيه

وكأنَّني بِالموتِ قد دَارت رحاه عَلى بنيه[1]

ولم يقف عند الموت إنّما نظر حتى فيما بعده،ونصح الناس بالعمل لذلك اليوم:

لَو كُنت للمَوتِ خَائفا وجلا أقرحت مِنك الجُفون بالعِبر[2]

فمرّة إذن يستعمل الموت شامتا في ضحاياه، ومرّة واعظا وناصحا، فيختلف هنا مثلا مع أبي العلاء الذي رغم أنّه أكثر هو الآخر من ذكر الموت، إلا أنّه لم يجعل غايته من ذلك الذكر تحقيق مثلا العدالة الاجتماعية[3]، كما فعل الأول، وإنّما هو عنده قضاء على مهزلة الحياة التي لم يفهم أسرارها، وفكرة الموت التي انتشرت بكثرة واحتلت جزء كبير بين أشعاره لا نجدها إلا عنده بهذا الشكل الواسع، وإكثاره في ذمّ الموت ربما يعود إلى أنّ الموت غالبا لا يخيف إلا الضعفاء أمّا الأقوياء فلا يهابونه ولا يفكرون فيه وإن كانوا يحتضرون، ونعلم أنّ شاعرنا كان يعاني من ضعف اجتماعي وآخر نفسي، كما أنّه عاش طفولته والحروب صارمة، بسبب مقاومة العباسيين، إضافة إلى ما جلبت إليه مهنة أبيه "جرار" من أمراض وآلام، هذه الأسباب كلها كانت كفيلة أن تعشّش في ذهنه فكرة الخوف من الموت، فهو إذن يخاف الموت ويرتعد لذكرها قبل أن يهدّد الناس بها[4]، وفي الروايات ما يبيّن أنّه ذكر الموت قبل أن يتنسّك بعدّة سنين، كقول صاحب الأغاني

---

[1]– محمد عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد، ص 64–65.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص13.

[3]– ينظر عبد الستار السيد متولي، أدب الزهد في العصر العباسي، سنة 1972، ص155.

[4]–ينظر محمد عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد، ص65–66.

"اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره، وعلى ظهره قفص فيه فخار يبيع منه فمرّ بفتيان جلوس يتناشدون الشعر، فوضع القفص عن ظهره ثم قال لهم: أراكم تذكرون الشعر، فأقول شيئا منه فتجيزونه؟.. قالوا: نعم، فقال: أجيزوا: "ساكني الأجداث أنتم" فعجزوا عن إجازته، فأتمّه[1]هو قائلا:

سَاكِني الأجْداث أنتم مِثلُنا بِالأمسِ كُنتُم

ليت شِعري ما فعلتم أربحتم أم خسرتم[2]

وهذا يبدو غريبا في مرحلة الشباب، إذ من المفروض أن يكون متفائلا في الحياة، يميل إلى كل متعة ولهو، كما هو أيضا حال الأدباء والشعراء، وكما قلنا من قبل في بداية حياته أحب نائحة "سعدى" ولا ندري كيف نربط حبها بفكرة الموت عنده لعلّه أحبّها لأجل ذلك، أو لتلحن أشعاره الحزينة،... المهم أن حبّه ل "سعدى" مثّل مرحلة من مراحل تطور فكرة الموت ونموها في نفسه[3]، فالموت عند الشاعر إذن هاجسه المخيف الذي يحمله إلى العالم المجهول،ممّا يجعله متشائما حزينا قلقا، وروي أنّه قال: لم أقل شيئا قط أحب إليّ من هذين البيتين[4]:

لَيت شِعرِي فَإنَّني لَستُ أَدرِي أَي يَوم يَكونُ آخِر عُمرِي

وَبِأَي البِلاد يُقبَضُ رُوحِي وَبِأَي البِلاد يُحفَرُ قَبرِي[5]

بهذا يظهر أنّ فكرة الموت لم تكن عنده مجرد فكرة أكثر القول فيها صدفة، إنّما لها جذورها، ويبدو في الظاهر أن شاعرنا كما قلنا متقلّب الأحوال والآراء، كلّما سمع أمرا

[1]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص151.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص397.

[3]– ينظر عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد، ص67–68.

[4]– المرجع نفسه، عن الأغاني، ص47–48.

[5]– ديوان أبي العتاهية، ص172.

خاض فيه ونسي سابقه، وإن شكّ في صحة زهده وطبيعة شخصيته، ولعلّنا إذا ما درسنا وفقا للمناهج الحديثة والتحاليل الجديدة للشخصيات قلنا عكس ذلك كلّه، ورأينا كيف أن أبا العتاهية جاهد نفسه حتى يرفع من منزلته، ويحسّن وضعه ويمحو لقبه، لكنّه كان ضحية عصره ومجتمعه اللذان لم يرحمانه، وظلا يلاحقانه، يحطان من قيمته مهما بدت عالية للعيان،بسبب تلك المفاهيم الجائرة آنذاك[1].

وقد تحدث عن مفاهيم دينية كثيرة، مثل الصداقة والإخاء والصدق والإخلاص، وأيضا عن اليقين الذي وجده خير دواء لداء الحيرة والشك، وهو معنى صوفي اهتم به الصوفية في القرن الثالث حيث قال:

أَلا إنّ اليَقينَ عَليهِ نُورُ وإنَّ الشَكَّ لَيسَ عَليهِ نُورُ

وإنَّ اللهَ لايَبقى سِواهُ وإن تَكُ مُذنِبًا فَهُو الغَفورُ[2]

وقال:

خُذْ مِنْ يَقينِكَ مَاتَجلوا الظُنونَ بِهِ وإن بَدا لكَ أَمرٌ مُشكِلٌ فَدَعِ

قَد يُصبِحُ المَرءُ فيما لَيسَ يُدرِكُهُ مُعَلَّقَ البَالِ بَينَ اليَأسِ وَالطَمَعِ

لَم يَعمَلِ الناسُ في التَصحيحِ بَينَهُمُ فَاضطَرَّ بَعضُهُمُ بَعضًا إِلى الخُدَعِ[3]

كما يذكر الشاعر اللّذات والشهوات بطريقة مباشرة وواضحة بعيدا عن ذكر الموت، أو مقنّعة بقناع الحزن والتشاؤم، وذكرها لم يكن بكثرة إلا بصورة خاطفة، أو تلميحات، وإن كانت هي الهدف الذي يريده الشاعر، ومن النوع الأول الظاهر قوله:

[1]– خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص42–44.

[2]–عبد الستار السيد متولى، أدب الزهد في العصر العباسي ص 108.

[3]–المرجع نفسه .ص 108.

أيَا مَن بَينِ بَاطيةِ[1]* ودنّ[2]* وعودٍ في يَدي غاوٍ مُغنّ

إذا لَم تَنه نَفسَكَ عَن هَواهَا وتُحسِنُ صَونَها فإليك عَنّي

فإنَّ اللَهوَ والمَلهَى جُنُونٌ ولَستُ مِنَ الجُنونِ ولَيسَ مِنّي

وأيُّ قَبيحٍ أَقبحُ مِن لَبيبٍ يُرى مُتَطرّبا في مِثلِ سِنّي؟

إذا لَم يَتُب كَهلٌ لِشَيبٍ فَليسَ بِتائبٍ ماعَاشَ ظنّي[3]

ويظهر هنا أن الكلام موجّه لهارون، لأنّه الأكثر اهتمام ورعاية للمغنيين والموسيقيين كإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وقد وصل بالشاعر إلى أن يملي شروطه على الخليفة، فهو يرى أن الرشيد يريد مجالسته، لكنّه يرغب في مجالس اللهو والعبث... وهذه جرأة منه كبيرة في الكلام، وقد تكون هذه المقطوعة من بين أسباب سجنه[4].

أما النوع الثاني حيث يمتزج الوعظ باللهو والعبث.. وما يشبه ذلك، ممّا لا يختلف عن وعظه الأول. وهو أكثر شعره وهو أساس شعره الزهدي[5]،الذي يظهر في بعضه مايدل على أن الخليفة بين عينيه وهو ينشد كأن يقول:

أَخَوَيَّ مُرّا بِالقُبو رِ فَسَلّما قَبلَ المَسيرِ

ثُمَّ ادعوا يا مَن بِها مِن ماجِدٍ*[6] قَرمٍ*[7] فَخور

وَمُسَوَّدٍ رَحبِ الفِنا ءِ أَغَرَّ كَالقَمَرِ المُنيرِ

1*– باطية: إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب (من معجم الوسيط).

2*– دن: برميل: وعاء ضخم للخمر والخل ونحوهما(من معجم الوسيط).

3– ديوان أبي العتاهية ص363.

4– ينظر عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، ص 80.

5–المرجع نفسه، ص 80.

6*– ماجد: ذو مجد وشرف(معجم الوسيط).

7*– قرم: السيد المعظم (معجم الوسيط).

أَهلَ القُبورِ أَحِبَّتي بَعدَ الجَزالَةِ وَالسُرورِ

بَعدَ المَشاهِدِ وَالمَجا لِسِ وَالدَساكِرِ *[1] وَالقُصورِ

بَعدَ الحِسانِ المُسمِعا تِ وَبَعدَ رَبّاتِ الخُدورِ

أَصبَحتُم تَحتَ الثَرى بَينَ الصَفائِحِ وَالصُخورِ[2]

إنّ الثورة عند شاعرنا كانت انعكاسا للأبعاد الاجتماعية، فقد تعدّ ثورة سلبية، لأن صاحبها فضّل الهروب من هذا الواقع المرّ، معلّقا أمالا واسعة لحياة ما بعد الموت، وهي الحياة التي تحقق مطامحه التي يريدها كل من أراد التخلّي على الدّنيا، ويرى "توفيق بن عامر" في كتابه "دراسات في الزهد والتصوف" أنّه يحارب الطبقة الاجتماعية بسلاحين: دنيوي وأخروي، أمّا الدّنيوي فالغنى الحقيقي غنى النّفس، أمّا غنى الثروة فهو زائل وممقوت لا يأتي إلاّ بالخسارة الأخروية والذّنوب لصاحبه، فكانت إذن القناعة والرضى بالقليل خير سبيل للنجاة والنجاح[3]،وفي هذا المعنى نرى شاعرنا يفتخر بالفقر عن الأغنياء:

رَضَيتُ بِإقلالِي فَعِش أَنت مُوسِرا فإنَّ قَليلِي عن كَثيرَكَ يكَفيني

ومَا العِزّ إلاَعِزُّ مَن عَزَّ بِالتُقى وما الفَضلُ إلا فَضلُ ذِي الفَضلِ والدِّينِ

وفي اللهِ مَا أَغنَى وفِي اللهِ مَا أَكفَى وفِي الصَبرِ عَما فَاتَني مَا يُسَلّيِنِي

وعِندِي مِن التِسليمِ للهِ والرِضَى إذا عَرضَ المَكروهُ لِي ما يُعزّيِنِي[4]

---

*[1]– الدساكر :جمع دسكرة وهو بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها شراب وملاهي(من المعجم الوسيط).

2–ديوان أبي العتاهية، ص169.

[3]–ينظر عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، مطبعة المعارف، مصر، سنة 1968، ص44.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص399.

أما السلاح الأخروي فهو التفكير بالمساواة بين الناس يوم القيامة، وزوال نعيم الدنيا وفنائه، ونراه يجسّد لنا هذا المفهوم بدقّة التصوير المحكم في حديثه عن التركة والميراث، إذ يصوّر الغني وهو يجمع الثروات الهائلة من كل جهة دون أن يتمتع بها، فيتركها للورثة، ولمن ينالها دون أن يتعب في جمعها،وربما يأخذها ألدّ أعدائه ويتمتع بها، ولا يأخذ منها هو شيئا، ويصور لنا الشاعر هذا المنظر بأسلوب فيه تشفّي واحتقار، وربما بأسلوب سخرية واستهزاء، وقد يرى أن سبب ذلك الوضع السيئ يعود أساسا للطبقة الحاكمة، ويعتقد مرة أخرى أنّ سبب الطبقية الفاضحة هو إهمال المبادئ الإسلامية[1]فيقول:

طَغَى النَاسُ مِن بَعدِ النَّبيِ مُحَمَدٍ فَقَد دُرِسَتْ بَعدَ النَّبِي الشَرائِعُ

وصَارَتْ بُطُونُ المُرَمَّلاتِ خَمِيصَةً* وأَيتَامُهَا مِنهُم طَرِيدٌ وجَائعُ

وإِنَّ بُطُونَ المُكثِراتِ كأَنَّمَا يُنقنِقُ في أَجوافِهِنَّ الضَفَادِعُ

فَمَا يَعرفُ العَطشَانُ مَن طَالَ رَيُّهُ مَا يَعرِفُ الشَبعَانُ مَن هُو جَائعُ[2]

كما أنّ الأرزاق بيد الله ومن عطائه، وهي بذلك قضاء وقدر:

وتَصريفُ هَذا الخَلقِ للهِ وَحدَهُ وكُلٌّ إليهِ لامَحالةَ راجِعُ

ولله فِي الدُنيا أعاجيبُ جَمّةً تدُلُّ علَى تدبِيرِهِ وبَدائع

ولله أَسرارِ الأُمورِ وإِن جَرَت بِها ظَاهِرا بَين العِبَادِ المَنافعُ

[1]– ينظر عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص44–45.

*–خصيصة : جائعة .خالية. ضامرة (من معجم الوسيط)

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص254.

ولله أحكَامُ القضَاءِ بِعلمِهِ إلاّ فَهُو مُعطٍ مَن شَاءَ ومَانعُ[1]

فأبو العتاهية شاعر عباسي وضيع من عائلة فقيرة، عانى الويلات في حياته، فلهذه الظروف القاسية، والنفسية التعبانة، اندفع إلى التأمل، وأيضا التشاؤم الذي خلفته تلك الأوضاع، فبالرغم من أنّه كان في صحبه الطبقة الخاصة، إلا أنّه لم يتنكّر للطبقة العامة بين الناس، بل بقي وفيا لصداقتهم، وشاركهم أزماتهم حتى أنّه يلوم نفسه إذا ما غفل عن حقوق المساكين، يقول:

لَم يكفِنِي جَمعِي لِضَعفِ يَقِينِي حَتَى استطلت به علَى المِسكينِ

مَن كَان فوَقي فِي اليَسارِ مَنحتُهُ الـ تَعظِيمَ واستَصغرتُ مَن هُو دُونِي[2]

فجعل شاعرنا نفسه مدافعا لحقوق الفقراء والمحتاجين، يتحدث بلسانهم، فهو إذًا يجعل نفسه مع هؤلاء المساكين، رغم أنّه بإمكانه العيش وسط الأثرياء متنعما بالأموال،غير أنّه ظلّ بالقرب من هؤلاء المساكين لشعوره بانتسابه الأول إليهم، وأنّه دخيل الطبقة التي يعيش وسطها وتحت رحمتها، فلم يكن كسبه إلاّ من الهبات والعطايا، ولم يُعد منهم لتشدّد النظام الطبقي حين ذاك، الذي يسير على اعتبارات متشددة منها اعتبار الشرف والمال والسلطة، وهو عامل اجتماعي كافي ليبعث في روح أبي العتاهية الخوف في تجربته الزهدية، فعزم الثورة على هذا الواقع الاجتماعي، والنظام الظالم،فلقد نقم شاعرنا من أجل كل ماذكرنا على رجال السلطة وأفعالهم في الكثير من أشعاره[3]،فتحدث عن الظلم والسيطرة التي سادت النظام الملكي المطلق، كأن يقول:

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص 254–255.

[2]– أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ– 1986م، ص395.

[3]– ينظر سامي العاني، دراسات في الأدب الإسلامي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968، ص39–38.

لِيخشَ عَبدٌ دَعوةُ المَظلومِ وَحكمةِ الحَيّ بِها القَيومِ[1]

وقوله:

وَيحَكَ يا مُغتصِبَ المِسكينِ وَيحَك مِن دَيَّانِ يومِ الدِّينِ

تُدانُ يَومًا ما كما تَدينُ وَيحَكَ يا مِسكينُ يا مِسكينُ[2]

ويقول أيضا:

ولَقد عَتوا زَمنًا كأ نَّهم السباع العاوية[3]

وقد كان يخشى العقاب إذا ما تحدث عن الحكام وأتباعهم:

وكُنتُ امرأ أَخشَى العِقابَ وأَتقِي مَغبَّة مَاتَجنِي يَدي ولساني

ولو أنّني عَاتبتُ قُدرة لعرضت نفسي صولة الحدثان[4]

وصوّر لنا الشاعر مظالم مختلفة أقيمت في حق الرعية المغلوبة على أمرها، ومدى صبرها على هذه المكائد، وفي نفس الوقت يصوّر تعالي هؤلاء الظلمة وكبريائهم وجبروتهم، مما يظهر طغيانهم على الضعفاء، حتى أن أبا العتاهية استعمل مفردات ملائمة لهذا المقام، فذكر المدائن والعشائر، العساكر، الدساكر، المنابر[5]...كما يتمنى انقلاب الأحوال، وخضوع رجال السلطة يوما لما يخضع له هؤلاء البؤساء، فيذكر بذلك يوم القيامة في قوله:

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص458.

[2]–ديوان أبي العتاهية، ص458

[3]–المصدر نفسه ، ص485.

[4]–المصدر نفسه ، ص453.

[5]– ينظر ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، مطبعة المعارف، بغداد، 1968، ص40.

في مقام تغشى العيون إليه والملوك العظام فيه خضوع[1]

ونظرا لتسابق وتطاحن الحكام فيما بينهم على الحكم، نشأت على إثر هذا فتن كثيرة استنكرها الشاعر بشدة، فيقول:

طَلب الرئاسَة ما عَملت تفَاقمت فِيه النّفاسَة

والنَاسُ يَخبطُ بُعضهُم بَعضا عَلى طَلبِ الرئَاسة[2]

ويقول:

حُبُّ الرِئاسَة أطغَى من على الأَرض حَتى بَغَى بَعضهمُ عَلى بعَض[3]

وهي الأسباب التي جعلت من شاعرنا يكره الحكام ويحتقرهم، ويسلّط عليهم حقده، وإن كان أكثر حقده نابع من شعور طبقي، لانتشار النزعات الشعوبية في ذلك الوقت، رغم أنّه اقتصر فقط على محاولة ردع الحكام والوقوف في وجه ظلمهم وطغيانهم دون اللجوء إلى الافتخاربالمجد والنسب، فهو ينطلق في حديثه من اعتبارات عنصرية، فيرفض الاعتبار القائم على هذا النحو من العنصرية المفرّقة بين أجناس المجتمع الواحد، ليعطي مفاهيم جديدة لقيم مختلفة[4]،كما يقول عن الشرف:

يا مَن شَرُف بِالدُنيا وطِينتها لَيس التَشرُّف رَفع الطِينِ بالطِينِ[5]

ويقول:

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص 257.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص231.

[3]– المرجع نفسه، ص203.

[4]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص133.

[5]– ديوان أبي العتاهية، ص439.

لَستُ أرى ما ملكت طرفي مكاَن من لا يرى مَكاني[1]

فأبو العتاهية يثور على هذه الطبقة لانتهاجها مسار معين في حكمها وأيضا لأسباب طبقية، لكن ثورته هاته تختلف مثلا وثورة "بشار بن برد" الذي يتمنى الدمار للخلافة العباسية، ويرجو زوالها[2].

ثار شاعرنا في تجربته الزهدية، فأقام ثورة على الحياة السياسية، إلا أنّه لم تكن ثورته فقط من هذه الناحية، بل تعداها إلى الناحية الاجتماعية والاقتصادية، إذ يعرض لنا أصحاب الثروة في سخرية مثيرة، كالبطنة والتسمن، كما أنّه يشعر بالفرق الكبير بين الفقراء والأثرياء، حيث يقيم موازنات بينهما، مشفقا على المساكين، متحيزا لهم ساخطا على الأغنياء، نافرا منهم[3]كقوله:

وانَّ بطُون المُكثرات كَأنما ينشق في أجوافِهن الضَفادع

فما يعرف العطشان من طال ريه وما يعرف الشبعان من هو جائع[4]

ويرسم لنا صورة الحياة الاقتصادية، في مجتمع لم توزع فيه الثورة بعدالة، يصوره لنا بأشكال مختلفة، ويخصص مواضيع معينة كالغلاء الفاحش الذي لا يكون ضحيته إلا الفقراء من الناس، حيث يقول:

كِلانا بَطينٌ جَنبُهُ ظَاهُر الكِسَى وفي النَّاسِ مَن يُمسي ويُصبحُ طَاويا

كأَنَّا خُلقنا للَبقاء وأَيُّنا وإن مُدَّت الدُنيا له ليس فانيا

أبى الموتُ إلا أن يكون لمن ثوى مِنَ الخَلقِ طُرًّا حيثُما كانَ لاقا

---

[1]–،ديوان ابي العتاهيةص433.

[2]–ينظر حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1904، ص41.

[3]–ينظر نفس المرجع والصفحة.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 254.

حسَمتَ المُنى يامَوتُ حَسمًا مُبرحًا وعَلت ياموتُ البُكاءَ البَواكيا[1]

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ نسبه الوضيع وحياة الفقر التي عاشها منذ الصغركان دافعا لشدّة نقمته على الحكّام وظلمهم، ليدلّ على ذلك بمختلف الوسائل والأساليب من إنكار واستنكار، وتهديد وسخرية، وربّما أفضل وسيلة استعملها للتعبير عن ذلك هي الموت التي أطال وأكثر الحديث عنها في أشعاره التي أساء الكثير من النقّاد المعاصرين فهم مراميها، إذ يعتبر الموت فقط رمزا أو وسيلة تعبير عن فناء هذا الكون، وكأنّه يهدئ نفسهونفوس المظلومين حتى يصبروا ويتوعّد الظالمين، ويذكّرهم بالموت الدال على الفناء فيهدّدهم به، وهذا المفهوم للموت يختلف عن مفهومه بالنسبة للشاعر، من الناحية الذاتية في زهده[2]،فهو يقول بلغة الموت للخليفة:

كُل نطاحٍ مِن الدَهِ ر له يومٌ نطوحُ

نُح على نفسِكَ يامس كينَ إن كنتَ تَنوحُ

لتموتنَّ وإن عُم مِرت ماعمر نوحُ[3]

وهنا يظهر الفرق واضحا جليا بين من يبكي ميتا متفجعا فيه وبين من يقول هذا القول بكل احتقار وازدراء، وسوء العاقبة والمصير، هنا يختلف عن معناه من الناحية الذاتية في التجربة الزهدية إذ يعني بهذا التخلّص من الوضع الفاسد، وإرجاع ما اغتصبه الظلمة من حقوق، ومعاقبتهم على فعلتهم، ولعلّ ما يريده الشاعر من وراء ذكر الموت هو الأخذ بالثأر من الطبقة الظالمة من خلال مناداته بمبدأ المساواة الاجتماعية[4]،فيقول:

---

[1]–ديوان ابي العتاهية ، ص 434.

[2]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص42.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص117.

[4]– ينظر ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص49.

وكُلُّ بَنى الدُنيَا ولَو تَاه تَائِهٌ قَد اعتَدلُوا فِي النَقصِ والضَعفِ واستَووا[1]

وأشاد هذا بالعدالة الاجتماعية في مواضع كثيرة ومختلفة حتى أنّه في رثائه خير الصديق له "علي بن ثابت" بيّن أنّ أمواله وجاهه وكل ممتلكاته لم تمنعه من الموت، ولم تنفعه يومها في قوله:

وخلِّ القُصور التي شَادها وحلَّ مِن القَبر فِي قَعرِه[2]

فقد حط من قيمة هذه الحياة، واستعاض عنها بحياة أخرى منها

كون السلطان الحقيقي فيها للمَلك الحقيقي، ملك الملوك الذي لا يبلى سلطانه[3]،فيقول:

يَبلَى لِكلِّ مُسلط سُلطانَهُ واللهُ لا يبلَى له سُلطان[4]

ويقول:

رأيتُ المُلوكَ وإن عَظُمَت فإنَّ الُملوكَ لِربي عَبيد[5]

إذ لا يتفوّق المرء في هذه الحال إلا بأعماله، وليس كما هو الحال في الدنيا، حيث يفتخر الناس بالنسب والمال والسلطنة، فيقول:

وَهذي القِيامة قَد أشرَفَت عَلى العَالمين لِميقَاتِها

وقَد أقبَلت بِموازينِها وأهوالِها ثم روعَاتها[1]

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص478.

[2]– نفسه، ص429.

[3]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص43.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص419.

[5]–المصدر نفسه ، ص124.

ورغم سلبية ثورته النابعة من السخط على ظاهرة الطبقية والظلم الاجتماعي، إلا أن هذه الثورة كانت لها إيجابيات واضحة وقيمة في ردع هذه الطبقية، وإقامة التوازن الاجتماعي، وكذا الإشادة والعمل بالمبادئ الخلقية الإسلامية، فلنبين هذه القيم الخلقية ومدى تأثر شاعرنا بها،

فشاعرنا لم يقتصر في ثورته إلى الحديث عن الهياكل السياسية والاجتماعية للمجتمع فقط، بل تعداها إلى دراسة القيم الخلقية للأفراد لهذا المجتمع، والمعاملة التي ينتهجونها فيما بينهم، فيرى أن أبناء مجتمعه تتحكّم فيهم الانتهازية والتحايل لنيل مطامحهم، والعلاقات البشرية التي تربطهم ببعضهم مبنية على تحقيق المصلحة والربح المادي، لهذا سادت الأنانية في هذا المجتمع، وضاعت القيم الخلقية بينهم،فأصبح المال المطلب الوحيد لكل فرد، حتى أنّه اعتبر معيار الرجولة والشرف والمجد الأصيل، والصداقة المتينة، فهم إذن عبدة الطمع والجشع، يتمنون تركة الميت ولايفكرون فيما يلحق به[2]،كقوله:

رُبَّ بَاكٍ للمَوتِ يُبكى عَليه قَد حَوى مَالَه بِكِلتا يَديه

إنَّما هَمُّ وارِثي بَعد مَوتِي شَافعٌ بي لا ما حَصلتُ عَليه[3]

فالثراء إذن والمال هما سبب المحبة، لا الإخلاص والوفاء، أما الفقير المملق لفقره يفرّمنه حتى أولاده، إذ يقول:

يُكرَمُ المرءُ وإن أَمـ لق أقصَاه بَنوهُ[4]

---

[1]–ديوان ابي العتاهية، ص 99.

[2]– ينظر ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف ص.

[3]– ديوان العتاهية، ص468.

[4]–المصدر نفسه ، ص473.

ومن كثرة غفلة الناس عن القيم الخلقية أصبحوا يضحّون بكل المبادئ السمحاء من أجل المال والثراء، وربما ذا ما رأوا نبيا يتسوّل لا يعطوه ولا يفكّرون في الثواب، إذ يقول:

لَو رَأى النَّاسُ نَبيًا سَائِلا ما وصَلُوه

وهُم لو طَمِعوا فِي زادِ كَلبٍ أكَلُوه[1]

فلا عجب إذا أن لا يكون محبوبا بين أبناء مجتمعه، لأنه ليس من الأثرياء ولا من أصحاب المال والشهرة، وهي المطالب التي تقوم عليها الصداقة والصحبة أنداك، وبهذه الاعتبارات لا صديق له ولا أخ ولا أنيس... كما أنّ هذه الاعتبارات جرت من ورائها قطع الأرحام والجفاء بين الناس، وشد الحقد والكراهية[2]،حيث يقول:

مَن نَافَس النَّاسَ لَم يَسلمَ مِن النّاسِ حَتى يُعَض بِأنيابٍ وأضرَاسٍ[3]

ويقول:

اشتَدَّ بَغي النَّاسِ في الأرضِ وَعَلو بَعضهُم عَلى بَعضٍ[4]

وقد يكون العداء واضحا للعيان، وقد يكون مستورا وراء ثوب النفاق والرياء وما شابههما، كقوله:

تَصحُّ أقوالُ أقوامٍ بِوصفِهم وفي القُلوبِ إذ اكتشَفها مَرضُ

والناسُ في غفَلةٍ عمَّا يُرادُ بهِم وكُلُّهم عَن جَديدِ الأرضِ مُنقرِضُ

---

[1]–ديوان أبي العتاهية، ص474.

[2]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص47.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص225.

[4]–المصدر نفسه ، ص239.

والحَادثاتُ بِها الأقدارُ جَاريةٌ والمرءُ مُرتفِعٌ فِيها ومُنخَفضُ[1]

ويزيد تشاؤم الشاعر للانحطاط الخلقي الذي يعيشه معظم أفراد عصره، فيراهم لئام في معظمهم، ولا يمكن معاشرتهم، ولا حل إذا إلاّبالهروب منهم ليأسه من هدايتهم، ولا ملجأ إلاّ إلى الله، حيث يقول:

أَرَى النَّاسَ طُرًا وقَد أبرَقُوا بِلُؤم الفِعالِ وقَد أرعَدُوا[2]

ويروى أنّه استشاره أحد ما يريد نقشا على خاتمه، فقال له: "انقش لعنة الله على الناس"، وهو ما يبيّن قوّة سخط وضجر أبي العتاهية من أبناء عصره[3]،إلى أن أراد عزلتهم وتفضيل الوحدة عنهم، إذ قال:

بَرمتُ بالنَّاسِ وأخلاقهم وِصرتُ أستَأنِسُ بالوِحدَه

ما أَكثر النَّاس لَعمرى ومَا أَقَلَّهم في حاصِل العِده[4]

ورغم برم الشاعر بالناس، وذكر عيوبهم، غير أنّه لم يعتزلهم إلاّ أواخر أيامه، بل هو إنسان اجتماعي ظلّ يذكر الناس بالخصال الحميدة والقيم النبيلة التي لابد أن تجمع بين الناس، محاولا إصلاح نفوس العباد وهدايتهم إلى ما فيه الخير لدنياهم وأخرتهم، لتسوية العلاقات بين الناس، منذرا ومستنكر الأنانية المستفحلة في مجتمعه، والمنافع المادية التي استهوتهم وأعمت بصيرتهم، فنادى بالأخوّة والصداقة المتينة النابعة من المشاعر الصادقة القائمة على الحب والإيثار، ونجده إذا تكلم على نفسه يبيّن كيفية

[1]– المصدر نفسه ، ص 238.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص135.

[3]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص48.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص154.

تعامله مع أصدقائه، ليكون مثالا يقتدي به السامعون[1]،ففي رثائه لصديقه "علي بن ثابت" يمجّد مفهوم الصداقة النموذجية فيقول:

يا شَركي فِي الخَيرِ قرَّبكَ اللـ ـهُ فَنعمَ الشَريك فِي الخَيرِ كُنتا[2]

فالصداقة النقية هي التعاون النزيه وإيثار الغير على النفس،وهي الأخوة في العقيدة والمبدأ بدون رياء أو نفاق، وفي هذا يقول:

وفِي حُسن السَريرةِ كُلّ أُنسٍ وفِي خُبثِ السَريرة كُلّ بَأسٍ[3]

ويقول في ضرورة التعاون بين الناس:

خُذ الناس، أودَع، إنَّما النَّاس بِالناسِ ولابُد في الدُنيا مِن النَّاسِ للناسِ[4]

كما نجده يحثّ عن البحث والمساهمة في تحقيق الحياة السعيدة والعمل والرزق الحلال، محذرا من الاتكال على الغير، والطمع فيما يكسبه، وهذا بخلاف ما كان يدعو إليه من قبل افتخاره بالفقر، ونبذ الغنى، والسخط على أصحابه، فبدا أكثر اندماجا مع الحياة الاجتماعية فيقول:

ولا تَدَع مَكسَبًا حَلالا تَكُونُ مِنهُ عَلى بَيانِ

فالمَالُ مِن حِلّهِ قِوامُ لِلعِرضِ والوجهِ واللِّسَانِ

والفَقرُ ذُلٌّ عَليهِ بابٌ مِفتَاحُهُ العَجُز والتَوانِي

ورِزقُ رَبي لَه وُجُوهٌ هُنَّ مِن الله في ضمَانِ[1]

---

[1]– ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص48–49.

[2]– المرجع نفسه ص105.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص 226.

[4]–المصدر نفسه ، ص 228.

فالحياة الاجتماعية مبنية على التعاون والمحبة والإخلاص والعمل، ومن يزرع لابد أن يحصد، فمن عمل خيرا حصد خيرا دنيا وآخرة، ومن لم يعمل لا ينتظر حصادا مفرحا، وهو قوام الحياة الاجتماعية، يقول:

إذَا لَم يُكرمُ النَّا س امرؤ لم يكرِمُوهُ

كل مَن لمَ يَرغب النا س إليه صَغَّروهُ

وإلى مَن رغِبَ النا سُ إليه أكبَروهُ[2]

ومَن كان حَسودا لا يَجنى إلا شَرًا يَنتظره،ويقول:

لَم يَكُ مَنيةٌ، حَسدًا وبَغيًا لِينجُو مِنهُمَا رأسًا برِأسٍ[3]

فهو يهتم بالحياة الاجتماعية وأبعادها قبل أن يتحدث عن الجزاء والعقاب في دار الآخرة، وفي الحقيقة ما يدعو إليه من تحلي بالقيم الأخلاقية لابد أن يقوم على قوام اجتماعي اقتصادي، أما المظهر الخلقي، فيظهر من خلال تمجيده للمبادئ النبيلة الإسلامية، فهو يريد تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، لهذا يوجّه كلامه خاصة إلى الأغنياء المتحكمين في زمام الأمور، فينادي بالمساواة الاجتماعية بين طبقات المجتمع، حتى يستطيع الفقير العيش،ويحثّ بذلك على التكاتف والترابط بين مختلف الطبقات[4]عن طريق النصح والإرشاد، فيقول:

واحفَظ أخَاك لِما رجاك له إذا دعَاك فَكُن لَه عَضدَا

وارفَع نَواظِره، وكُن سَندا فلَقد يَكُونُ أخُو الرَضا سَنَدَا

---

[1]–المصدر نفسه ، ص433.

[2]–المصدر نفسه ، ص473.

[3]–ديوان أبي العتاهية، ص226.

[4]– ينظر ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص50.

وتَعَاهد الإخوان، إنَّهم زين المغيب وزين من شهدا[1]

إذن فمثلما كان لأبي العتاهية موقف سلبي من الناحية الاجتماعية أصبح له موقف إيجابي، ويظهر أكثر في الجانب الأخلاقي، ولا يعد هذا تناقضا، فقد دعا الشاعر إلى الفرار من أولئك الحكّام الطغاة الجبابرة، إذ لم يجد ملاذا غير ذلك لمّا يئس من تغيير أفكارهم وطبائعهم، ففرّ إلى الحديث عن الموت، واستنكر الغنى عن صاحبه، وفضّل عنه الفقر، أما من الناحية الخلقية فاهتم بالفرد أكثر من الجماعة، كذا أراد هدايته ووجوب تحليه بالقيم الإنسانية الخلقية، وربط العلاقات المتينة بينه وبين الآخرين[2]،كما يرى أنّ الخير عادة يعمل بها من وجد السبيل إليها، إذ يقول:

واعتقادُ الخيرِ والشرِّ إسًى*1 بعضُنا فيه لبعض مُتَّبَع

أمَمٌ مزروعةٌ محصودةٌ كُلُّ مزروعٍ فللحصد زُرع

يَصرَعُ الدَهر رَجالا تَارة هكذا مَن صَارع الدهر صرع

التقيُّ البِرُّ من ينبذُها والمُحامي دونها الخِبُّ*3 الخَدع2

ثانيا/- دوافع وأبعاد تجربة أبي العتاهية الزهدية:

لقد كان شعر الزهد عند أبي العتاهية منذ بدايته شعر وجداني نابع من وجدان الشاعر وذاته،ولعلّه أكتر وجدانية من شعر الغزل والرثاء، وأكثر ذاتية منهما، لأن الشاعر الزاهد لا يتحدث إلاّ عن الذات ولا يخرج عنها، أمّا الشاعر المتغزّل أو الراثي فيتحدّث عن

---

[1]- ديوان أبي العتاهية، ص133.

1- ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، ص51-52.

[2]*- إسي : أناله منه. شاركه فيه. شاطره.(قاموس الوسيط)

[3]*-الخبّ:الخداع(قاموس المحيط).

2-ديوان أبي العتاهية.ص 133

نفسه وعن غيره أيضا في الوقت نفسه[1]، والقول في الزهد ربما ينشأ عن عوامل مختلفة،منها ما هو شخصي أو قد يكون بيئي، إلاّ أن المصدر الأساسي رغم اختلاف عواملها لا بد أن ينبع من عمق ذات الإنسان وضميره اليقظ، وقد تغزر قريحة هذا الشاعر الزاهد وتتّسع أرجاء عالمه النفسي، فيغمر بعواطفه الذاتية وتجربته الشخصية والمحيط الاجتماعي الذي يكتنفه،كما حدث لأبي العتاهية، إلاّ أنّ معين هذا الفيض لا يعدو حدود هذه الذات ولا يتجاوز أعماق الوجدان4.

فلزهده عوامل ذاتية دفعته إليه، فربما من كثرة مجونه واستهتاره يظهر أنّه أنهك جسميا ونفسيا، ولتقدّم السّن به إلى الخمسين من عمره ربما هذا ساعده إلى أن يهتدي إلى تغيير نمط حياته، والبحث عن الحياة الهادئة بعيدا عن ذاك المجون، مكفّرا عن خطاياه، وهو أمر حدث لكثير من الشعراء، حتى أنّ أبا نواس الماجن تمرّ عليه لحظات يروّعه ماهو فيه، ليهرع إلى الله مناجيا إياه، خاصة عند اشتداد مرض الربو عليه، الذي يصيب عادة المدمنين على الخمرة، غير أنّ هذا الشاعر سرعان ما يعود إلى ماكان عليه بزوال المرض، أما شاعرنا لما سلك هذا المنهج لم يتراجع عنه بقية حياته[2].

كما أن عقدة النقص كان لها كبير الأثر في دفعه إلى الزهد، هذه العقدة التي أحسّ بها منذ صغره، وهي إحساسه بضعف أصله الذي جعله حزينا متشائما، كثير التفكير في الموت، وبالتالي الزهد، كما أنّ تعرّفه على إحدى النادمات زاد في تعميق هذا الإحساس فرأى في الزهد متنفسا لما يعانيه، وتعويضا لما افتقده في دنياه،فكان هو مجده

[1]– ينظر ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، الدار العربية للكتاب، 1981، ص25.

2– ينظر المرجع نفسه .ص 25

3– ينظر المرجع نفسه .ص 25

وفخره بعد ماحرّم من مجد الحياة وفخرها، حيث أصبح يفتخر بالتقوى وحب الخالق، إذا ما افتخر الناس بالأنساب والأمجاد[1]، كأن يقول:

دَعني مِن ذِكرِ أَبٍ وَجَدٍّ ونَسَبٍ يُعليكَ سُوَر المَجدِ

ما الفَخرُ إلا فِي التُقى والزُهدِ وطَاعَةٍ تُعطي جِنانِ الخُلدِ[2]

ويقول:

وَلَقَد طَلَبتُ فلَم أجِد كَرمًا أعلَى بِصَاحبِهِ مِنَ التَقوَى[3]

ويقول:

والأَرضُ طيّبةٌ وكُلُّ بَني حَوَّاءَ فيها وَاحِدٌ نَسَبُه[4]

أيضا:

لِكلِّ امرئٍ فِيما قَضَى اللهُ خُطةٌ مِنَ الأَمرِ فيهَا يَستوَي العَبدُ والمَولى

وإنَّ امرأً يَسعَى لِغَيرِ نهايَةٍ لَمُنغَمسٌ في لُجَّةِ الفاقَةِ الكُبرى[5]

وأيضا:

لا يَفخَرُ الناسُ بأنسَابِهم فإنَّما الناسُ تُرابٌ وماءٌ[6]

---

[1]– عاني سامي، دراسات في الأدب الإسلامي، ص 26.

[2]– شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، جامعة دمشق، ط محققه، 1965، ص 120.

[3]–المرجع نفسه، ص09.

[4]–شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص50.

[5]– المرجع نفسه، ص 08

[6]–المرجع نفسه ص 08.

فإلى جانب إحساسه العميق بالنقص ومعاناته من هذه العقدة كان أيضا يشتكي من الحرمان، فأكثر في شعره الزهدي من التعبير عن التظلّم والتذمّر والتشكّي، وربما نجده غاضبا ناقما لحرمانه، فجعل من الزهد طريقا للتعبير عن غضبه وثورته على سوء حظه، وله أشعار كثيرة في هذا المعنى، منها مثلا قوله في عمرو بن سعدة عندما احتجب عنه، حيث يذكّره بالآخرة وزوال النعيم والفناء، ويعاتبه على مقاطعته وحرمانه من عطاياه[1]، فيقول:

مَالكَ قد حُلتَ عَن إخَائِكَ واس تَبدلتَ ياعَمُر شيمَةً كَدِرَه

إنّي إذا البَابُ تاهَ حَاجبُهُ لَم يَكُ عِندي فِي هَجرِهِ نَظِرَه

لَستم تُرجَّونَ للحسَابِ ولا يَومَ تَكونُ السَماءُ مُنفَطِرَه

لكِن لَدُنيا كالظِلّ بَهجَتُها سَريعَةُ الإقضاءِ مُنشَمِرَه

قَد كانَ وَجهِي لَديكَ مَعرِفةً فَاليَوم أضحَى حَرفًا مِنَ النَكِرَه[2]

وتشتغل به نيران الغضب والسخط فيه نوع من الهجاء، لكنّه يبقى دائما في إطار الزهد، فيجعل من هذا الزهد سلاحا يحتمي به من الخصم، كما فعل مع علي بن يقطين عندما أعرض عنه، وخيّب أماله، فهدّده الشاعر بسوء مصيره[3]:

مالَكَ لا تُرجِعُ السَّلامَ علَى الزُّوَّارِ إلاّ بِلمحَةِ البَصرِ

تفعل هذا وأنت من بشرٍ فكيف لو كنت من سوى البشر

مَاأَنتَ إلاّ مِن العبَادِ وإن أصبَحتَ من إمرَةٍ وفِي خَطرٍ

[1]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص 21–22.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص 217.

[3]– عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص27.

مَا أقدَرَ اللهَ أَن يُغيّرَ ما أصبَحتَ فِيه فَكُن علَى حَذَرِ

واعلَم بأَنَّ الأيَّام تلعَبُ بالناسِ وأنَّ الزمَان ذُو غِيّرِ[1]

وأحيانا يستعمل الشاعر في التعبير عن هذه العقدة أسلوبا آخرا، هو أسلوب "التعزّي والتصبّر" عند الشدائد والإحساس بالضيق، فيوجّه عزاءه لنفسه أو لغيره، مثلما وجّهه ل "محمد بن الفضل الهاشمي" عندما شكا له قلّة الصنعة وجفاء السلطان[2]، فيقول:

كُلٌّ عَلى الدُّنيَا لَهُ حِرصٌ والحَادِثاتُ أناتُها عَفَصُ

وكَأَنَّ مِن وارته حُفرَتُه لَم يَبدُ مِنهُ لناظِرٍ شَخصُ

أَبغِي مِن الدُّنيَا زِيَادَتَها وَزِيادَتِي فيها هِي النَقصُ[3]

كما تحدّث أبو العتاهية كثيرا عن الفشل في الحياة، وكأنّه أصبح معاديا لها، فلم يكن موقفه موقف الإهمال واللامبالاة، وإنّما موقف رفض واحتقار لحاجة في نفسه، فيقول:

كأَنَّني بالدِيارِ قد خَرَبَت وبالدمُوعِ الغزارِ قد سُكبَت

فضَحتِ لا بَل جَرحتِ واجتَحتِ يا دُنيا رِجالاً عَليكِ قد كَلِبَت

المَوتُ حقٌّ والدارُ فانيةٌ وكُلُّ نَفسٍ تُجزى بما كَسَبت

يالَكَ مِن جِيفَةٍ مُعَفَنَةٍ أَيُّ امتِناعٍ لها إذا طُلِبت

هِي التِي لَم تَزَل مُنَغّصةً لا دَرُّ دَرُّ الدنيا إذا احتُلِبَت[1]

---

[1]– شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخبارهن ص167.

[2]– ينظر عاني سامي، دراسات والتصوف، ص28.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص236.

فجعل بينه وبين الدنيا خصومة لفشله فيها، وعدم استطاعته على توفير مطالبه فيها، كما يقول توفيق بن عامر، فكانت كالسراب الذي لا يمكن إدراكه:

كأنَّ محاسِن الدُنيا سَرابٌ وأيُّ يَدٍ تَناولَتِ السَرابا؟

وإن تَكُ مُنيَةٌ عَجِلَت بِشيء تُسرُّ بِه فإنَّ لها ذهَاباَ[2]

ويقول أيضا عن الفشل:

طَلبتُك يادُنيَا فأَعذَرتُ في الطَلَبِ فمَا نِلتُ إلاّ الهَمَّ والغَمَّ والنَصَب

فَلمَّا بَدا لِي أنَّنِي لستُ واصِلا إلى لذَّةٍ إلاّ بأضعَافِها تَعَب[3]

وأيضا:

خلَّيتُ مما فِيك جُهدي وطَاقَتي كما يَتخلَّى القَومُ من عَرَّةِ الجَرَبِ[4]

ويبيّن أن نعيم الدنيا زائل،إذ ما تكاد تفرح إنسان ما بنعمة حتى تسلبها منه،وفي هذا يقول أبو العتاهية:

وَيا دُنيايَ مَا لي لا أَرانِي أسُومُكِ مَنزِلاً إلاّ نَبا بي؟

أَلا وأَراكَ تَبذُلُ يا زَمانِي لِي الُدنيا وتَسرعُ باستِلابي

ومالي لستُ أَحلُبُ منك شطرا فأحمدَ غِبَّ عاقِبةِ الحِلابِ

أَرَاكَ وإن طُلبتَ بِكلِّ وجهٍ كَحُلمِ النَومِ أو ظِلِّ السَحَابِ

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص71.

[2]–المصدر نفسه، ص32.

[3]–المصدر نفسه، ص49.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 49.

أَوِ الأَمسِ الذي وَلَّى ذَهابًا فَلَيسَ يَعودُ أَو لَمعِ السَرابِ[1]

وبعدما كان شاعرنا محبّا للدنيا شغوفا بها أصبح كارها لها، يمقتها لفشله وخيبة أمله فيها، ممّا جعله ينصح غيره بمعاداتها وإخبارهم بحقارتها، فيقول:

دَارٌ بُليتُ بِحُبِّها خَوَّانَةٌ لِمُحبِّها

كُلٌّ مُعَنّى مُبتَلى بِعَطائِها وبِسَلبِها

وبِخلبِها وغُرورِها وبِبُعدهَا وبِقُربِها

وبِحمدِها وبذمِّها وبحبِّها وبِسبِّها

إن لَم تُعن بِقناعَةٍ ضَاقَت عَليك بِرحبِها

ما تَنقَضِي لَكَ لَذَّةٌ إلاّ بِروعَةِ خَطبِها

إن أَقبَلَت بِغَضارَةٍ*[2] سَحَّ*[3]النعَيُّ بِجَنبِها[1]

ويقول:

لعمرك ما الدُنيا بِدارِ بَقاءِ كَفاكَ بِدارِ المَوتِ دارَ فَناءِ

فَلا تَعشَقِ الدُنيا أُخَيَّ فَإِنَّما تَرى عاشِقَ الدُنيا بِجُهدِ بَلاءِ

حَلاوَتُها مَمزوجَةٌ بِمَرارَةٍ وَراحَتُها مَمزوجَةٌ بِعَناءِ

---

[1]–المصدر نفسه ، ص46.

*[2]– غضارة: من غضر: عدل وانصرف(من معجم الوسيط).

*[3]– سحّ: انصبّ (من معجم الوسيط).

1– ديوان ابي العتاهية .ص 63

2– المصدر نفسه. ص 12

فَلا تَمشِ يَوماً في ثِيابِ مَخيلَةٍ فَإِنَّكَ مِن طينٍ خُلِقتَ وَماءِ[2]

ولعلّ أحسن قصيدة يصور فيها كرهه للدنيا بعد حبّه لها قوله:

قَطَّعتُ مِنكَ حَبائِلَ الآمالِ وَحَطَطتُ عَن ظَهرِ المَطِيِّ رِحالي

وَيَئِستُ أَن أَبقى لِشَيءٍ نِلتُ مِم ما فيكِ يا دُنيا وَأَن يَبقى لي

وَوَجَدتُ بَردَ اليَأسِ بَينَ جَوانِحي وَأَرَحتُ مِن حَلّي وَمِن تَرحالي

وَلَئِن طَمِعتُ لِرُبَّ بَرقَةِ خُلَّبٍ بَرَقَت لِذي طَمَعٍ وَلَمعَةِ آلِ

ما كانَ أَشأَمَ إِذ رَجاؤكِ قاتِلي وَبَناتُ وَعدِكَ يَعتَلِجنَ بِبالي

الآنَ يا دُنيا عَرَفتُكِ فَاِذهَبي يا دارَ كُلِّ تَشَتُّتٍ وَزَوالِ

وَالآنَ صارَ لي الزَمانُ مُؤَدَّباً فَغَدا عَلَيَّ وَراحَ بِالأَمثالِ

وَالآنَ أَبصَرتُ السَبيلَ إِلى الهُدى وَتَفَرَّغَت هِمَمي عَنِ الأَشغالِ[1]

فحدثّنا عن فشله في الحياة من خلال مخاطبته لمحبوبته "عتبة"، ويظهر ذلك الخصم جليا بينه وبين الدنيا، بسبب ماعاناه منها، لهذا فلا عجب أن تكون نظرته للدنيا سوداويةوتشاؤمية، المؤلم فيها أكثر من المريح، وتظهر التجربة الزهدية لأبي العتاهية أكثر فيما يخص بالنفس البشرية، وهي المأساة الوجودية التي تمثلت في قوّة الإحساس بصعوبة التحوّل من ملذات الحياة إلى الزهد فبدأ هذا النزاع في نفس الشاعر عنيفا وعسيرا، إذ أنّه يودّع الدنيا ويبكيها، وينتحب شبابه، مما يدلّ على قوّة حبّه للدنيا وشهواتها، فتركها مكرها مرغما ربما، وهو يتوق إليها، فامتزج بذلك شعره الفني بماضيه

[1]–ديوان ابي العتاهية،ص 325.

اللاهي. والبكاء على حياته الراهنة وكأنّه يودّع الدنيا ويبكيها، يودّع الماضي عندما يقارن بين شبابه ومشيبه[1]، فيقول:

طالَما اِحلَولى مَعاشي وَطابا طالَما سَحَّبتُ خَلفي الثِيابا

طالَما طاوَعتُ جَهلي وَلَهوي طالَما نازَعتُ صَحبي الشَرابا

طالَما كُنتُ أُحِبُّ التَصابي فَرَماني سَهمُهُ وَأَصابا[2]

ويقول:

بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني فَلَم يُغنِ البُكاءُ وَلا النَحيبُ

فَيا أَسَفا أَسِفتُ عَلى شَبابِ نَعاهُ الشَيبُ وَالرَأسُ الخَضيبُ

عَريتُ مِنَ الشَبابِ وَكانَ غَضّاً كَما يَعرى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ

فَيا لَيتَ الشَبابَ يَعودُ يَوماً فَأُخبِرُهُ بِما صَنَعَ المَشيبُ[3]

وعلى إثر هذه المأساة أظهر أبو العتاهية ما يختلج بنفسه وما تعانيه، فقدّم بذلك نموذجا نادرا أو طريفا من شعر الزهد،تكمن طرافته وندرته فيما تتضمّنه من مشاهد الصراع النفسي بين الغرائز البشرية والأهداف الروحية المثالية[4].

ويعرض لنا أبو العتاهية مجموعة من التناقضات الحياتية بين مختلف الأمور، منها ما بين ضمير وعقل الإنسان الموزون المتّعظ، وغرائز النفس المشبعة بالشهوات وما

[1]– عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص31.

[2]– ديوان أبو العتاهية، ص52.

[3]–ديوان أبي العتاهية، ص48.

[4]– عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص32.

كان يعانيه شاعرنا، ويجسّده لنا من خلال أشعاره، فتحدّث في تغلب هوى النفس عن الإنسان فيقول:

ما زَالَ حِرصُ الحَريصِ يُطعِمُهُ في دَركِه الشَيءَ دُونَهُ العَطبُ

ما طَابَ عَيشُ الحَرِيص قَطُّ ولا فَارقَه التَعسُ مِنهُ والنَصَبُ

البَغيُ والحِرصُ والهَوَى فِتَنٌ لَم يَنجُ مِنها عُجمٌ ولا عَرَبُ

لَيسَ عَلى المَرءِ فِي قَناعَتِهِ إنهِي صَحَّت أَذًى وَلا نَصَبُ

مَن لَم يَكُن بِالكَفافِ مُقتنِعًا لَم تَكفِهِ الأَرضُ كُلُّها ذَهَبُ[1]

ويقول:

تَبارَكَ رَبٌ لا يَزالُ ولَم يَزل عَظيمَ العَطايَا رَازِقًا دائِم السَيبِ

يا نفس لا تَتَعرَّضِي لِعَطيَّةٍ إلاّ عَطِيَّةَ رَبَّكِ الوَهَابِ

يا نَفسُ هَلا تَعلمينَ فإنَّنا في دارٍ مُعتَملٍ لِدار ثَوابِ[2]

وإن كان رغم ذلك يطمع لنيل الهبات والعطايا خوفا من غدر الزمان وكيده، ويبيّن في أبيات كثيرة ويعترف بحقيقة سيطرة الهوى، الذي يرى أنّ التغلّب عليه هو أكبر جهاد كما يقول:

أَشَدُّ الجِهادِ جِهادُ الهَوى ومَا كَرَّمَ المَرءَ إلا التُقَى

وأَخلاقُ ذِي الفَضلِ مَعروفةٌ بِبذلِ الجميلِ وكَّفٍ الأَذَى[3]

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص24.

[2]–ديوان أبي العتاهية نفسه، ص2.

[3]–المصدر نفسه، ص7.

وكأنّ الحرب قائمة بين عقله ونفسه، ويبقى العقل يحاول السيطرة على هاته النفس بكل ما استطاع من حكمة رشيدة، وفي الأخير لا يستطيع الصمود طويلا فيقول:

للهِ دَرُّكَ عَائِبًا مُتسَرِعًا أيَعِيبُ مَن هُو بِالعُيوبِ مَعيبُ

ولَقَد عَجِبتُ لِغفلَتي ولِغِرَتِي والمَوتُ يَدعُونِي غَداً فَأُجيبٌ

ولَقد عَجِبتُ لِطُولِ اَمنٍ مَنيَّتي وَلَها إليَّ تَوَثُّب ودَبِيبُ

للهِ عَقلِي ما يَزالُ يَخونُني وَلقد أَراهُ، وإنَّهُ لَصَلِيبُ

لله أيَّامٌ نَعِمتُ بِلِينِها أيَّامَ لِي غُصنُ الشَّباب رَطيبُ

إنَّ الشَّبابَ لَنافِقٌ عِند الورى ما لِلشيبِ مَخادنٌ وحبيبُ[1]

واعتمد أبو العتاهية في حياته الجديدة على العقل الذي رآه المخرج الوحيد للتقوى والهداية، إذ به كان التحوّل والانقلاب الذي صدر عن تفكير طويل ووعي ناضج:

رَجَعتُ إلى نَفسي بِفِكري لَعَلَّها تُفارِقُ ما قَد غَرَّها وَأَذَلَّها

فَقُلتُ لَها يا نَفسِ ما كُنتُ آخِذاً مِنَ الأَرضِ لَو أَصبَحتُ أَملِكُ كُلَّها

فَهَل هِيَ إلّا شَبعَةٌ بَعدَ جَوعَةٍ وَإلّا مُناً قَد حانَ لي أَن أَمَلَّها

وَمُدَّةُ وَقتٍ لَم يَدَع مُرُّ ما مَضى عَلِيَّ مِنَ الأَيّامِ إلّا أَقَلَّها

أَرى لَكَ نَفساً تَبتَغي أَن تُعِزَّهاوَلَستَ تُعِزُّ النَفسَ حَتّى تُذِلَّها[2]

ويقول:

[1]–المصدر نفسه، ص28.

[2]–ديوان أبي العتاهية، ص 33.

ما أَنفعَ العقلَ لِأَصحَابِهِ نتيجةُ العقلِ تَمامُ الأدبِ[1]

وينادي بالتوبة وينصح بها ويريد تحقيقها، لكنّه يصعب عليه ذلك لتغلب نفسه عليه، فيعيش التناقض بين ما يقوم به وما يقوله، فهو يقرّر التوبة والتفكير عن ذنوبه، غير أنّه لا يلبث حتى يتراجع في قوله:

أَلا لِلَّهِ أَنتَ مَتى تَتوبُ وَقَد صَبَغَت ذَوائِبَكَ الخُطوبُ

كَأَنَّكَ لَستَ تَعلَمُ أَيُّ حَتٍّ يَحُثُّ بِكَ الشُروقُ وَلا الغُروبُ

أَلَستَ تَراكَ كُلَّ صَباحِ يَومٍ تُقابِلُ وَجهَ نائِبَةٌ تَنوبُ

لَعَمرُكَ ما تَهُبُّ الريحُ إِلّا نَعاكَ مُصَرِّحاً ذاكَ الهُبوبُ[2]

وأيضا:

وَكَيفَ تُريدُ أَن تُدعى حَكيماً وَأَنتَ لِكُلِّ ما تَهوى رَكوبُ

وَما تَعمى العُيونُ عَنِ الخَطايا وَلَكِن إِنَّما تَعمى القُلوبُ

وَتُصبِحُ ضاحِكاً ظَهراً لِبَطنٍ وَتَذكُر ما اِجتَرَمتَ فَلا تَذوبُ

أَلَم تَرَ إِنَّما الدُنيا حُطامٌ تَوَقَّدُ بَينَنا فيها الحُروبُ[3]

وقال:

وللهِ دُنيا لا تَزالُ تَرُدُّنِي أَبَاطِيلها في الجَهلِ بَعد استِقامَتِي

وللهِ أَصحَابُ المَلاعِبِ لَو صَفَت لَهم لَذَّة الدُنيَا بِهِنَّ وَدامَت

[1]–المصدر نفسه ، ص31.

[2]–المصدر نفسه ، ص22.

[3]–ديوان ابي العتاهية. ص 22.

ولله عَين أَيقَنَت أن جَنَّة ونَارًا يَقين صَادق ثُم نامَت[1].

وهذه تعدّ مرحلة من مراحل تجربته الزهدية، وهي مرحلة اضطراب وتذبذب وتناقض في السلوك والشعور، ولهذه الفترة التحويلية أسباب نفسية، كما تحدّثنا سابقا، وأخرى اجتماعية، سنتناولها بعد هذا، وهذه الاضطرابات التي عاشها بدأت تتلاشى مع مرور الزمن وتقدّم العمر، وهي مرحلة كلّها مواعظ وحكم وعبر مستخلصة من صميم النفس[2]، ونحن لا نشك في أنّ شعره المأساوي يمثّل قمّة تجربته وأوجّ حرارتها، فكان أرفع قيمة عاطفية فنية من سائر أشعاره[3]، فشعر أبي العتاهية الزهدي يعدّ لونا من ألوان التصوّف، رغم ذلك كان شغوفا بالموسيقى والغناء إلى درجة عالية، فهو عندما ما أراد التزهّد دعا صديقه مخارق المغني، إذ كان يهيئ طقوسا خاصة لقصائد الزهد، وهو ما جعله صاحب طراز جديد في الشعر العربي، ومن هذا الطراز أنّه يشبه فن الخطابة لدرجة كبيرة، فيأخذ مكان الخطيبالواعظ، فيعظ الناس وينصحهم ولعلّ ذاك أضاف خاصية جديدة لغرض الزهد، فكان شعره الزهدي من أقوى الدوافع لعظة الناس وإرشادهم[4].

في الحقيقة لا يمكن الفصل بين الناحية الذاتية والاجتماعية في تجربة هذا الشاعر، لشدّة الترابط بينهما، إذ لا يمكن للشاعر أن يتخلص من ذاتيته في حديثه عن مجتمعه، بل نجده في الكثير من الأحيان يتحدّث من نفسه عن المجتمع، فهو صورة مجتمعه، ومرآة عصره وبيئته، تتصف بما يتصف هو به من آمال وآلام، لذا لابد أن تكون للناحية الموضوعية ناحية ذاتية[5].

---

[1]–ديوان ابي العتاهية ، ص63.

[2]– ينظر عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص35.

[3]– ينظر المرجع نفسه .ص 35.

[4]– ينظر حمسياني، أبو العتاهية وخصائص شعره، مذكرة درجة سرجانا بجامعة علاء الدين بمكاسار، اندونيسيا، لسنة 2014، ص68–69.

[5]– ينظر عاني سامي، دراسات في الزهد والتصوف، ص36.

فقد كان شعوره بالمظلمة الاجتماعية والاقتصادية الذي أشعره بمركب نقص نسج له الكثير من العقد بحكم أن أصله مغمور، ونسبه وضيع، لقد عاش شاعرنا حياة اجتماعية متنوعة، فكانت بدايتها وسط العوام من الناس لمدة ثلاثين سنة، فشاركهم طبيعة حياتهم من الأحزان والآلام وعوز وصبر وذلّ... ثم اختلف إلى الطبقات الحاكمة، فكان شاعر البلاط الأول، وعاش هذه الحياة لمدة عشرين سنة، فشاركهم سهراتهم ورحلاتهم، بل حتى أنّه كان الرفيق والمستشار للخليفة، وأصبح يتدخل في شؤون الخاصة للأسر الحاكمة وحياتهم، حيث كان على اتصال قوي بالفضل بن الربيع وزبيدة زوجة الرشيد، على إثر ذلك كان على علم بما يحيط من وساوس القصر، لهذا يرى نفسه خبيرا بشؤون هذه الطبقة[1]، وكفيلا أن يعدّ حكيما ومجرّبا، حيث قال:

لَقد حَلَبتُ الزَمانَ أشطُرَهُ فَكانَ فيهِنَّ الصَابُ والسَلَعُ[2]

مَالي بِما قَد أتَى بِهِ فَرَحٌ ولا عَلى مَا ولَّى بِهِ جَزَعُ

لله دَرُّ الدُنيا لَقَد لَعِبَت قَبلي بِقَومٍ فما تُرى صَنَعوا[3]

ويقول:

إن كانَ عِلمُ امرِئٍ فِي طُولِ تَجرِبةٍفَإنَّ دُونِ الذي جَرَّبتُ يَكفِينِي

إنِّي لَأقبَلُ مِن نَفسِي المُنى طَمعًا والنفُس تَكذِبُني فيما تُمنِينِي

ومِن عَلامَة تَضيِيعي لآخِرَتي أَن صِرتُ تُغضِبُني الدُنيَا وتُرضِينِي

يا مَن تَشرَّفَ بالدُنيا وطِينتِها لَيسَ التَشرُّفُ رفعَ الطِينِ بِالطينِ[1]

[1]– ينظر أسامة كانوني، أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي، بيروت، لبنان، 1950، ص133.

[2]– الصاب والسلع: ضربان من الشجر مرّان(قاموس تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، ص155).

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص267.

إضافة إلى كل هذه الأسباب والدوافع يظهر سبب آخر، ساعد على دفعه إلى الخوض في تجربته الزهدية، وهو تأثّره بالفلسفات الجديدة والعقائد القديمة، فقد عاش في عصر العلم والمعرفة، عهد المهدي والهادي والرشيد، عاش في بلاط الخلفاء، حيث انتشرت التيارات الفكرية المختلفة، ومجالس الجدل والفلسفة والفنون الرفيعة، كان شاعرنا شغوفا بتلقي هذه العلوم والمعارف حتى جعل من نفسه عالما، لتأثره بتلك التيارات الفكرية، خاصة منها المانوية والبوذية[2].

وهناك من يضيف سبب آخر لهذه الأسباب، وإن كان أمرا مستبعدا، حيث يقال أنّه اختلف مع رئيس العصابة والبة بن حباب، حتى هجيا بعضهما البعض بحدّة، واشتدّ الخلاف بينهما، غير أنّه لا يمكن أن يعدّ هذا الأمر سببا في انتهاج شاعر طريقا معاكسا لما كان عليه[3].

ويروي أنّ أبو سلمة الغنوي قال: "قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ قال: إذا والله أخبرك أنّي لما قلت:

اللهُ بَيني وبَينَ مَولاتِي أَهدَت لِي الصَدَّ والمَلالات

مَنحتُها مُهجَتي وخَالِصتي فكَان هِجرانُها مكَافَاتي

هَيَّمَني حُبُّها وصَيَّرني أحدُوثةً في جَميعِ جاراتِي

[1]–ديوان ابي العتاهية ، ص439.

[2]– شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص230.

[3]– نفس المرجع ص 230

رأيت في المنام في تلك الليلة كأنّ آتيا أتاني فقال: "ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليك بالمعصية إلا بالله تعالى؟ فانتبهت مذعورا، وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل"[1].

وهي رواية تستشف منها دلائل غير التي وردت فيها، إذ ليس من المعقول أن تكون وحدها سببا كافيا حتى يغيّر الإنسان مجرى حياته، فتصبح حياته مخالفة تماما عما ألفها منذ سنوات كثيرة، إنّما تدلّ على الاستعداد النفسي والتفكير المسبق في مختلف وجوه هذا الأمر، حتى ما إذا استقرت الفكرة ورسخت في مخيّلته كانت هذه الرؤيا بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، فهو قبل أن يتزهّد عاش الحيرة والقلق في حياته إلى أن اهتدى إلى ما بدّد غيوم قلقه ذاك[2]، ومن الروايات التي تظهر شدة قلقه في حياته وإحساسه بالضياع ما يرويه أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: "دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد، فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد:

لَهفي عَلى وُرقِ الشَباب وَغُصونِهِ الخُضرِ الرِطاب

ذَهَبَ الشَبابُ وَبانَ عَني غَيرَ مُنتَظَرِ الإِياب

فَلَأَبكِيَنَّ عَلى الشَبا بِ وَطيبِ أَيّامِ التَصابي

وَلَأَبكِيَنَّ مِنَ البِلى وَلَأَبكِيَنَّ مِنَ الخِضاب

إِنّي لَآمُلُ أَن أُخَلـ ـد وَالمَنِيَّةُ في طِلاب[3]

قال: فجعل ينشدها وإن دموعه لتسيل على خديه، فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها، وسألت عن الشيخ فقيل لي هو أبو العتاهية[1]، فهو يبكي شبابه الضائع

[1]– ينظر شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص 30–31، عن تاريخ بغداد، ص 258.

[2]– ينظر حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، مكتبة انجلو المصرية، 1904، ص203–204.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص68.

الذي يمثّل له أجمل مراحل عمره، فيعاوده الحنين إلى ذلك الماضي السعيد، الذي لم تعود أيامه الفانية، فهو يذكرها وكلّه ألم وحزن عميقين أسالا دموعه على مرأى من الناس، وإن كان في البيت الأخير يستدرك القول ويتفطّن بطمعه في الخلود، وأنّ الموت قادم لا محال، فأبو العتاهية كما رأيناه شاعر متذبذب في أقواله، لتذبذب حالته النفسية، إلا أنّه في الأخير استقرّت حالته واطمأنت إلى حياة الزهد، بعد زمن من الحيرة والتفكير والتأمل، كما جعل شعره ناطقا عما يعيشه من ورع وتنسّك، لهذا نال إعجاب الخواص والعوام، لشدّة تأثير كلامه في سامعيه، ممّا أثار حفيظة الحاسدين، فشكّكوا في عقيدته وزهده باصطناعهم روايات تشكّك في حقيقة هذا الزهد، أو بتحوير وتزييف حقائق حياته بما يتلاءم ومبتغاهم...[2]وهو الذي أفعم شعره بالموعظة والحكمة التي تعبّر عن حاجة النفس الإنسانية الخير والدين والأخلاق، فكان أهم ما يشغل باله في هذه الأمور هو الموت، إذ يصوّره بأبشع الصور المخيفة، كقوله:

لَعَمرُكَ ما الدُنيا بِدارِ بَقاءِ كَفاكَ بِدارِ المَوتِ دارَ فَناءِ

فَلا تَعشَقِ الدُنيا أُخَيَّ فَإِنَّما تَرى عاشِقَ الدُنيا بِجُهدِ بَلاءِ

حَلاوَتُها مَمزوجَةٌ بِمَرارَةٍ وَراحَتُها مَمزوجَةٌ بِعَناءِ

فَلا تَمشِ يَوماً في ثِيابِ مَخيلَةٍ فَإِنَّكَ مِن طينٍ خُلِقتَ وَماءِ

لَقَلَّ امرُؤٌ تَلقاهُ لِلَّهِ شاكِراً وَقَلَّ امرُؤٌ يَرضى لَهُ بِقَضاءِ

وَلِلَّهِ نَعماءٌ عَلَينا عَظيمَةٌ وَلِلَّهِ إِحسانٌ وَفَضلُ عَطاءِ

[1]– ينظر حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص 204، عن الأغاني، ج3، ص143.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص204–205.

وَما الدَهرُ يَوماً واحِداً في اختِلافِهِ وَما كُلُّ أَيّامِ الفَتى بِسَواءِ[1]

وقد أكثر شاعرنا الحديث عن الموت في زهدياته، فرآها المصير المحتوم لكل إنسان، لهذا قال:

لَقَد لَعِبتُ وَجَدَّ المَوتُ في طَلَبي وَإِنَّ في المَوتِ لي شُغلاً عَنِ اللَعِبِ

لَو شَمَّرَت فِكرَتي فيما شُلِقتُ لَهُ ما اِشتَدَّ حِرصي عَلى الدُنيا وَلا طَلَبي

سُبحانَ مَن لَيسَ مِن شَيءٍ يُعادِلُهُ إِنَّ الحَريصَ عَلى الدُنيا لَفي تَعَبِ[2]

وقوله:

لِدوا لِلمَوتِ وَابنوا لِلخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إِلى ذَهابِ

لِمَن نَبني وَنَحنُ إِلى تُرابٍ نَصيرُ كَما خُلِقنا مِن تُرابِ

أَلا يا مَوتُ لَم أَرَ مِنكَ بُدّاً أَبيتَ فَلا تَحيفُ وَلا تُحابي

كَأَنَّكَ قَد هَجَمتَ عَلى مَشيبي كَما هَجَمَ المَشيبُ عَلى شَبابي

وَيا دُنيايَ ما لي لا أَراني أَسومُكِ مَنزِلاً إِلّا نَبا بي

أَلا وَأَراكَ تَبذُلُ يا زَماني لي الدُنيا وَتَسرِعُ بِاِستِلابي

وإنك يا زمان لذو ظروف وإنك يا زمان لذا انقلاب[3]

فشعر الشاعر له علاقة قوية بحياته، فلبساطة حياة شاعرنا كان شعره يميل إلى البساطة،ويبتعد عن التعمق والغموض في المعنى والتكلّف في الألفاظ في شعره،

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص11.

[2]–المصدر نفسه ، ص45.

[3]–المرجع نفسه، ص46–47.

فاحتل شعره المكانة المرموقة في قلوب الناس، وذلك لسهولة تداوله على ألسنتهم، فكان شاعر الدقة والطبع، وقد مال إلى البساطة في شعره إلى حد الابتذال وهو متعمّد ذلك،لأنّه يرى أن الشعر الجديد نظّم من أجل العامة، فهو من طبقة اجتماعية دنيا، يشتغل بصناعة الفخار، يقابل الشعراء والمنشدين وينشدهم من فيض موهبته الفطرية، ولم ترد إلينا أخبار على أنّه يجالس الأدباء أو يلازم شاعرا أو يجلس إلى عالم، ولم يذهب إلى البادية كما فعل الآخرون، لذا فثقافته الفنية شعبية، وهو ماجعل الناس يلتفّون من حول شعره فيعجبون به، إذ وجدوا في شعره لونا من الراحة والطمأنينة لاعتماده على سهولة اللفظ من حيث استنباطها، وفي صياغتها، وبنائها في الأفكار، وفي المعاني من حيث استنباطها وخلقها وإخراجها، حتى أن معانيه الفلسفية التي تناولها في شعره بسيطة بعيدة عن التعقيد والتركيب والالتواء ،مما جعل قصائده قريبة إلى مفاهيم العامة وأذواقهم[1]، ولاعتماد شعره إلى لغة عامة وميله إلى البساطة حتى يفهم شعره من كافة طبقات المجتمع عرف أنّه "عامّي المذهب في شعره"[2]فقد تعمّد هذا المذهب في شعره وأقرّ به خاصة في زهدياته.

إنّ الأشعار التي ذكرناها سابقا كانت كلّها في الوعظ والإرشاد غير أنّها مزجت بغايات ومواضيع أخرى غلبت عليها، كالحقد حيال الطبقات العليا للمجتمع، ولو أنّه لم يقصد ولم يريد أن يكون هدفه السخط فقط على الحكّام والاشمئزاز من الناس، إنما هي مواقف يأخذها منهم إثر مروره بحالات نفسية عصبية، وتذكره لتجاربه الحزينة التي يرى أن سبب خيبتها هؤلاء الناس، أما غير ذلك فهو الواعظ الذي يريد هداية الضالين وإيقاظ الغافلين ونصح المنتصحين، فعلاوة أنّ الزهد هو مذهب عقائدي فهو عنده أيضا مهنة أدبية تريحه في مصالحه الدنيوية.

---

[1]–أحمد خوجلي، الاتجاه التحديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، 2007، ص 170-171.

[2]–هبة رشاد الأسوقي، مظاهر التجديد في العصر العباسي، مظاهر تجديد، ص58.

وأيضا تتماشى وحالته النفسية، فمن ناحية مصالحه الدنيوية رأينا كيف أن الأموال تهاطلت عليه منذ كان شاعر غزل وحب، أيضا شاعر زهد وتنسك، أما الحالة النفسية فالشاعر يعيش عقدة نقص كبيرة، يشعر إزاءها بالضياع في هذا المجتمع الذي لا يرحم مولي وضيع النسب ولا فقير محتاج، فظلّ يعمل لأجل كسب المال والشهرة بين الناس، بما يرفع من قيمته واحترامه، فلم يجد غير ما كثر في ذلك العصر من مظاهر الزهد والتنسك، حيث يلقى الواعظ فيه كل الاحترام والتبجيل من قبل الخاصة والعامة، وفعلا رفعت هذه المهنة أبي العتاهية، وخفّفت عنه اضطرابه وهدّأت أعصابه، ونفّست عنه همومه وهموم الآخرين، فأثّرت في كل الناس حتى في الحكام، كالرشيد الذي أبكاه بأشعاره الوعظية[1]، في قوله:

خانَكَ الطَرفُ الطَموحُ أَيُّها القَلبُ الجَموحُ

لِدَواعي الخَيرِ وَالشَر رِ دُنُوٌّ وَنُزوحُ

هَل لِمَطلوبٍ بِذَنبٍ تَوبَةٌ مِنهُ نَصوحُ

مَوتُ بَعضِ الناسِ في الأَر ضِ عَلى بَعضٍ فُتوحُ

سَيَصيرُ المَرءُ يَوماً جَسَداً ما فيهِ روحُ

بَينَ عَينَي كُلَّ حَيٍّ عَلَمُ المَوتِ يَلوحُ

كُلُّنا في غَفلَةٍ وَال مَوتُ يَغدِ وَيَروحُ

نُح عَلى نَفسِكَ يا مِس كينُ إِن كُنتَ تَنوحُ

[1]– عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، ص85–87.

لَتَموتَنَّ وَإِن عُم مِرتَ ما عُمِّرَ نوحُ[1]

فقد رفعت هذه الأشعار الزهدية بأبي العتاهية إلى أعلى المنازل[2]،ويروي الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني الكثير من الروايات والقصص التي تبيّن أنّ شاعرنا كان له قدر رفيع بين الناس،منها قوله"كنت في الموقف واقفا على باب الرشيد، فإذا برجل بشع الهيئة على بغل قد جاء فوقف وجعل الناس يسلمون عليه ويسألونه ويضاحكونه...ويشتكون إليه أحوالهم، فواحد يقول كنت منقطعا إلى فلان فلم يصنع بي خيرا، ويقول الآخر: أملت فلانا فخان أملي، ويشكو آخر من حاله فقال الرجل:

فتَشتُ ذي الدُنيا فلَيسَ بِها أَحَد أَراه لآخرِ حامِد

حتى كأنَّ الناس كُلهم قد افرغوا في قالب واحِد

فسألت عنه،فقيل: هو أبو العتاهية وهو مايبيّن أنّه كان له قدر رفيع بين الناس، إذ جعلوه حكيمهم ومسليهم[3]، وكثيرا ما قيلت هذه الأشعار في المساجد وغير المساجد، وقد اختلفت موضوعاتها وتشعّبت، كالابتعاد عن شهوات الدنيا، والقول في المال والحكم والافتخار بالأنساب وذكر أهوال الموت والحساب...[4] كل هذه الأنواع كانت لها قصائد شعرية تتضمنها، فبعدما جاءت أشعارا لتهديد عنيفة متهجمة، جاءت أخرى هادئة لينة[5].

وما ميّز زهدياته توظيف الحكمة فيها، فقد كانت قدرته علي صياغة الحكمة كقدرته على قول الشعر سواء بسواء، بسهولة وعفوية مطلقة ومعايشة للمعاني متصلة، تميّزه ذاكرة قوية وسرعة استدعاء لمخزونها، إذ لم يعد بحاجة إلى إعمال فكر أو صياغة

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص116.

[2]– ينظر عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، ص84–87.

[3]– ينظر الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص363.

[4]– ينظر عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، ص87.

[5]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص115.

بلاغته، ولأبي العتاهية حكم في موضوعات مختلفة غير الزهد، وأخرى في الزهد والموعظة، وكلاهما يختلف عن غيره من حيث المصدر والمضمون، إنّ النوع الأول يعتبر حصيلة ثقافية مختلفة ومتعددة، أمّا النوع الثاني فهو نابع من الإيمان الوجداني يبعثه العقل بسرعة مذهلة وبحرارة قويّة إلى الناس كلّما وجد أمرا يتحدث فيه[1].

ثالثا/- مصادر شعره الزهدي:

ويستمد أبو العتاهية معاني شعره الزهدي من مصادر مختلفة، حيث يقتبس منها ما شاء من المعاني اقتباس الإنسان الواعي، لاطّلاعه على مختلف ثقافات وأفكار عصره، فيتمثّل هذه المعاني ويصوّرها بطريقته الخاصة، وإن ظهرت أحيانا كثيرة منها المعاني الأصلية، لقوة أسلوبها ورصانتها، فتعود مرة أخرى للظهور، لا يحجبها الأسلوب الجديد للشاعر، وتمثّلت مصادر شعره الزهدي في: القرآن الكريم، السنة النبوية، الأثر...[2]فمن اقتباساته من القرآن الكريم قوله:

ويَرزُقُ الإنسَانُ مِن حَيثُ لَه يَرجُو وأَحيَانا يَضِل الرَجا[3]

فالشطر الأول من قوله تعالى: <<ويَرزُقُهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ[4]>>وقوله:

سُبحانَ من أعطَاك مِن سَعَةٍ سُبحانَ مَن أَعطاكَ ما أَعطَى

فَلَئِن عَقَلتَ لَتَشكُرَنّ وَإِن تَشكُر فَقَد أَغنَى وَقَد أَقنَى[5]

فالشطر الأخير من قوله تعالى:<<وإِنَّهُ أَغنَى وأَقنَى[1]>>

---

[1]- ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول ، ص121-122.

[2]- ينظر عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، ص216، وعبد الستار متولي، أدب الزهد، ص8.

[3]- ديوان أبي العتاهية، ص21.

[4]- سورة الطلاق، الآية 3.

[5]- ديوان أبي العتاهية، ص24.

فقد أدرك أبو العتاهية أن الشكر هو رأس الإيمان، فشكر الله على النعم يوجب على الإنسان أن يعترف بقلبه أنّ واهب هذه النعم هو الله وحده دون سواه، لذا راح يحثّ الناس على شكر خالقهم على النعم التي يتقلّبون فيها أناء الليل وأطراف النهار، والآية تقرّ بأن الله يغنى من عباده من شاء في الدنيا بأنواع الغنى وهي شتى، غنى المال، وغنى الصحة، وغنى الذرية، وغنى النفس، وغنى الصلة بالله. والزاد الذي مامثله زاد، وأغنى من عباده من شاء في الآخرة من غنى الآخرة، وأقنى من شاء من عباده من كل ما يقتنى في الدنيا وكذلك في الآخرة[2]،فالبارز في هذا الإقتباس أن النص الشعري جاء متناسقا متجانسا مع النسيج القرآني، فقد وظّف الشاعر هذه الآية القرآنية، حتى يبرز حقيقة أنّ الفقراء لا يغتنون ولا يقتنون إلا من خزائن الله العامرة التي لا تعرف الخواء أو النضوب[3].

فمعظم التناصات الإقتباسية مع القرآن الكريم في شعر أبي العتاهية تتناول قضايا حسّاسة تخص علاقة العبد بربه، وما يجب عليه حتى ينال رضا خالقه، فلا بد من الهداية التي هي من عند الله، إذ يقول الشاعر:

إذَا أنتَ لَم تَهدِنا ظَللنَا يا رب إنَّ الهُدى هُداكا[4]

ويبدو واضحا ملامح النص القرآني في قوله تعالى: "قُل إِنَّ الهُدَى هُدى الله"[5]، فقام بتغيير طفيف في الصياغة دون أن يمسّ جوهر المعنى،فكان هناك انسجام وتطابق بين النص القرآني والنص الشعري في إظهار حقيقة أنّ الهدى هو هدى الله وحده.

---

[1]– سورة النجم، الآية 48.

[2]– ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق،القاهرة ط 39، 1432هـ،2011م، ص 3417.

[3]– ينظر عبد الكريم هجرس، مجلة كلية الآداب، التناص الاقتباسي ودوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية، 2017، ص127.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 307.

[5]– سورة آل عمران، الآية 73.

فاستعمال الشاعر الإقتباس من النص القرآني لم يكن هدفه جعله حلية جمالية فقط،بقدر مارآه كشف للمفاهيم وتعميق تجربته الشعرية، إضافة إلى كونها أداة تأثير قوية على المتلقي لينصاع لجملة المواعظ والإرشادات،فيحسّن من سلوكه ويساهم في تغيير الواقع[1]،والحقيقة أن أبو العتاهية استفاد من هذا الإقتباس بشكل واسع وإذ نراه أحيانا يقوم باقتطاع آية أو جزء متكامل مستقل منها، ويضعه في سياقه الشعري دون أن يتصرف في بنيته المتكاملة بالزيادة أو النقصان أو التقديم أو التأخير لإثارة الشعور الديني في نفوس الناس، فيحثّهم على تطليق الدنيا الفانية وشهواتها الزائلة،والتمسك بالآخرة الباقية ونعيمها الأبدي، ومن ذلك قوله:

يا عَجَباً كُلُّنا يَحيدُ عَنِ ال حَينِ وَكُلٌّ لِحَينِهِ لاقِ

كَأَنَّ حَيًّا قَد قامَ نادِبُهُ وَالتَفَّتِ الساقُ مِنهُ بِالساقِ

وَاستَلَّ مِنهُ حَياتَهُ مَلَكُ ال مَوتِ خَفِيًّا وَقيلَ مَن راقِ[2]

فالقارئ لهذه الأبيات يتذكر مباشرة قوله تعالى:"كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29)"[3]

استعمل هنا الشاعر النص القرآني في شعره ليعبر عن الاحتضار وسكرات الموت،التي هي آخر لحظات الدنيا وأولى خطوات الآخرة، وهي خطوات تبطل فيها كل حيلة وتعجز كل وسيلة لقطع الطريق الذي يساق إليه هذا المخلوق ويساق إليه كل حي[4]، فوظّف الشاعر الآية توظيفا مطابقا في شعره مع زيادة لفظة (منه) ليستقيم الوزن

[1]– ينظر عبد الكريم هجرس، التناص الاقتباسي في دوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية، ص119.

[2]– أبو العتاهية أخباره وأشعاره، تحقيق شكري فيصل، ص589.

[3]– سورة القيامة، الآية 26–29.

[4]– ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 3772.

الشعري، كما نرى استحضاره لقوله تعالى:"وقيل من راق"[1].وهي آية تصف المشاهد الأخيرة من حياة الإنسان، حين تبلغ الروح التراقي فتكون سكرات الموت،ويلتفّ الحاضرون حول المحتضر يلتمسون له الحيل لإنقاض روحه بشتى الطرق،هنا الشاعر يسوق ذات المعنى ويستثمر النص القرآني ليقرع آذان السامعين،ويدفعهم إلى التفكير في المصير المحتوم المنتظر،وقد نجح الشاعر في تجسيد الفكرة،وحثّهم وتحذيرهم من الغفلة والسهو اللذان سكنا عقول وقلوب الناس بعد أن فتنتهم شهوات الدنيا وملذاتها[2].

ومن التناصات البديعية التي عمد إليها شاعرنا ما ورد في قصيدة له مدح فيها المهدي،حيث قال:

أَتَتهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً إِلَيهِ تُجَرِّرُ أَذيالَها
وَلَم تَكُ تَصلُحُ إِلّا لَهُ وَلَم يَكُ يَصلُحُ إِلّا لَها
وَلَو رامَها أَحَدٌ غَيرُهُ لَزُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزالها
وَلَو لَم تُطِعهُ بَناتُ القُلوبِ لَما قَبِلَ اللَهُ أَعمالَها[3]

استمد الشاعر هنا المعنى واللفظ من قوله تعالى:"إِذا زُلزِلَت الأَرضُ زِلزَالَها"[4]،ليظهر مكانة الممدوح في قلوب الرعية، وقوّة الغضب الذي كان سيصيبها لو اعتلى سدّة الخلافة غيره، فهو في نظر الشاعر الأجدر والأولى بها والأنفع، ومنح الخلافة لغيره أمر عظيم شبيه في هوله بهول يوم الزلزلة (يوم القيامة)،حيث ترتجف الأرض وتزلزل زلزالا،فاتّكأ الشاعر على هذا المعنى من المشهد القرآني في تصويره لهول القيامة وشدّة وقعه في النفوس، ليستفيد منه في شعره، فاستعمل هذا النوع من المدح ليستميل إليه قلوب الخلفاء، فكان بذلك ذكيا وفطنا بعزفه على الوتر الحسّاس الذي يهزّ عواطف

[1]– سورة القيامة، الآية 27.
[2]– ينظر عبد الكريم هجرس، التناص الاقتباسي، ص121.
[3]– ديوان أبي العتاهية، ص 375.
[4]– القران الكريم، سورة الزلزلة، الآية 01.

الخلفاء، فينال عطاياهم ويقدمونه على غيرهم[1]،هذه الأبيات التي أطرب بها" بشار بن برد"حين سمعها، وراح يخاطب أشجع السلمي بقوله:"ويحكيا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طيرا لِم يأتي به هذا الكوفي"[2].

لقد أعجب وانبهر ابن الأثير بعد قرون من الزمن بهذا الطرب، فعبّر عن إعجابه به، فقال:"ولعمري إنّ الأمر كما قال بشار، وخير القول ما أنكر السامع، حتى ينقله من حالته سواء كان في مديح أو غيره واعلم أنّ هذه الأبيات المشار إليها ها هنا من رقيق الشعراءغزلا ومديحا، وقد أذعن لمدحها الشعراء من أهل ذلك العصر، ومن ذلك فإنّك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات، وهذا هو الكلام الذي يسمى "السهل الممتنع"، فتراه يطعمك، ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب، وهكذا ينبغي أن يكون من خاض في كتابة أو شعر، فإنّ خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن"[3].

ولما كان أي شاعر في كل زمان ومكان يميل دائما إلى نشأته وثقافته،

فكان شاعرنا وبحكم ثقافته الدينية قد تجلت في شعره بصمات النص القرآن جليا وبشكل واضح في مختلف أشعاره، فلنرى قوله:

ما استَوى النَاسُ مُنذُ كَانُوا أُناسا خلق الله خلقَه أَطوَارَا

مَن رَأى عبرَةً فَفَكَّرَ فِيهَا لَم يَزِدهُ الَتفكِيرُ إلا اعتِبَارَا[4]

وهو استغلال واضح في شعره لقوله تعالى، لما قاله نوح لقومه: "مَالَكُم لا تَرجُونَ لله وَقَارا، وَقَدْ خَلقَكُمْ أَطوَارَا"[1]، فأورد الشاعر الآية الثانية في عجز البيت الأول مع تغيير

[1]– ينظر عبد الكريم هجرس، التناص الاقتباسي، ص 121.

[2]– الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج 04،ص29.

[3]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بلوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة، ج1، ص 194.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص173.

طفيف في الصياغة،وتطابق في البنية العميقة بين النص القرآني والنص الشعري فالله خلق الناس أطوارا أي مراحل مختلفة[2]، خلقهم أولا ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم خلقهم عظاما ولحما ثم أنشأهم خلقا آخر،وهناك من ذهب إلى أن الأطوار هي الأصناف المختلفة الألوان واللغات[3]، وللننظر إلى قوله:

حَسبُنا الله ربُنَا هُو مَولى خَير مَولى ونَحنُ شَرُّ عَبيد

خَلقَ الخَلقَ للفَناءِ فَهُم بَي ن شَقي مِنهُم وسَعيد

ليتَ شِعري وكَيف حَالكِ يا نف س غَدا بين سَائق وشَهيد[4]

فهو يقتبسها من قوله تعالى: "وجَاءَتْ كُلّ نَفس مَعَهَا سَائِق وَشَهِيد"[5]

أراد من هذا الاقتباس الترهيب من اليوم الموعود، يوم الحساب يوم يكون الإنسان بين ملكين أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد عليه عمله، لعلّ التذكير بهذه المشاهد التي نقلها القران تحفّز الإنسان،وتدفعه لمحاسبة نفسه قبل أنيحاسب[6].فيقول:

لِلَّهِ عاقِبَةُ الأُمورِ جَميعاً أَخشى التَفَرُّقَ أَن يَكونَ سَريعا

أَفَتَأمَنُ الدُنيا كَأَنَّكَ لا تَرى في كُلِّ وَجهٍ لِلخُطوبِ صَريعا[7]

---

[1]– القران الكريم، سورة نوح، الآية 13–14.

[2]– الزمخشري، تفسير الكشاف خليل مأمون شجا، دار المعرفة، بيروت.

[3]– ينظر العمدة محمود فرج عبد الحميد، أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، ج1، ص445.

[4]– العمدة محمود فرج عبد الحميد، أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة ، ص 123.

[5]– القران الكريم، سورة (ق)، الآية 21.

[6]–عبد الكريم هجرس، التناص الاقتباسي ودوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية، مجلة كلية الآداب واللغات، 2017، ص123.

[7]– ديوان أبي العتاهية، ص265.

من قوله تعالى: "ومَن يُسلِم وجهَه إلَى الله وهُو مُحسِنٌ فَقَد استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوثقَى، وإلَى الله عاقبة الأمور"[1].

فالشاعر هنا يستند إلى النص القرآني ليبيّن ويذكّر الإنسان بالمصير الذي هو آيل إليه، فكل الأمور تعود إلى الله، ثم يرهبنا من الموت الذي قد يباغتنا في أي لحظة، وما دام كذلك فكيف للإنسان أن تنتابه الغفلة أو النسيان؟ واقتباساته من القرآن الكريم كثيرة، وماذكرناه من أمثلة كان على سبيل المثال لا الحصر.

أما اقتباساته من السنة النبوية الشريفة، فقد روى صاحب الأغاني عن تمامة بن الأشرس قال: أنشدني أبوه العتاهية:

إذا المَرءِ لَم يَعتَق من المَالِ نَفسه تَملَّكه المَالُ الذِي هو مالِكه

ألا إنّما مالي الذي أنَا منفق وليس لِي المَال الذي أنا تَارِكه

إذا كُنتَ ذا مال فبادر بهِ الذي يحقّ وإلا استهلكَته مَهالكه

فقلت له: من أين قضيت بهذا؟ فقال:من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّما لكمن مَالك ما أكَلتَ فَأفنَيت، أو لَبِستَ فَأبلَيت، أو تَصَدَقت فَأمضَيت"[2]، فقلت له: أتؤمن بأنهذا قول رسول الله صلى عليه وسلم وهو الحق؟ فقال: نعم، قلت فلم تحبس عندك سبعاوعشرين بدرة في دارك، لا تأكل منها ولا تشرب...[3]

وفي قوله:

---

[1]– سورة لقمان، الآية 22.

[2]– الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم،ج1، ط1، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ، 1991م، ص 2274.

[3]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص15.

والله للناس بأعمالهموكل ناو فله ما نوى[1]

فهو من قول الرسول صلي الله عليه وسلم: "إنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِيَات، وإنمَا لِكُلِّ امرِئ ما نَوَى"[2]، إذ يبيّن أن الأعمال خالصة بالنوايا،وكل أعمال البر لابد لها من نية تسبق هذا العمل.[3]وقوله:

يا بعد من مات ممن كان يلطفه قامت قيامته واليأس أحياء[4]

وهو من قوله عليه الصلاة والسلام: "مَن مَاتَ فَقَد قَامَت قِيامَتُه"[5].

وقال أيضا:

رحم الله امرئ أنصف نفسه إذ قال خيرا أو سكت[6]

من قوله عليه السلام:"مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوم الأخِر فَليقُل خَيرًا أَو لِيصمُت"[7]، وقال:

مالك سيأكل الناس غيرهم ما أكلت من المال الحلال فأفنينا

ومالك إلا كل شيء لجعلته أمامك لا شيء لغيرك أبقيتا

ومالك مما يلبس الناس غير ما كسوت وإلا ما لبست فأبليتا[1]

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص25.

[2]– الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط جديدة ملونة، الناشر دار ابن كثير، لبنان، بيروت، 2018، ص3062.

[3]– أبي رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ت الأرنؤوط، ط7، بيروت، ج1، مؤسسة الرسالة، ص64–65.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص11.

[5]– محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحداث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص5462.

[6]– ديوان أبي العتاهية، ص46.

[7]– مسلم(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص 1354.

أما اقتباسه من الأثر كقوله في رثاء "علي بن ثابت"

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا[2]

مأخوذ هذا المعنى مما يؤثر عن بعض ملوك العجم، أنّه احتضر فحضره من يحضر الملوك من الحكماء حتى قضي: فقال ذلك الحكيم: "كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس".[3]

ولننظر إلى قول أبي العتاهية:

ولا شَيء إلا لَهُ آخِرة ولا شَيء إلا لَهُ مُنتهَى[4]

من كلام عثمان بن عفان–رضي الله عنه– خطبة له– رضي الله عنه– قال:" إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وإن عاهة هذا الدين عيابون ظنانون... [5]

وقد علم الأوائل باقتباسه مثل "المبرد والأصفهاني"،اللذان ذكرا بعض أشعاره وبيّنا أصلها الأول

قال الأصفهاني في كتابه الأغاني:" هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر، وقد أخرج الاسكندر ليدفن.... سكنت حركة الملك في لذّاته، وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده".[6]

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص 46.

[2]– المرجع نفسه، ص 492.

[3]– أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، التعازي والراثي والمواعظ والوصايا، ت إبراهيم محمد، مراجعة محمد سالم ص195.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص20.

[5]– أبي بكر محمد بن الطيب البقلاني، إعجاز القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ج1، ص142.

[6]– الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص44.

وقيل للحسن البصري:" كيف ترى الدنيا؟ فقال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها"[1]، فأخذه أبو العتاهية فقال:

تَزيدُه الأيَامُ إن أقبَلتْ شدَّةَ خوفٍ لتصاريفها

كَأنَّها فِي حَالِ إسعَافِها تُسمِعُهُ أوقاتَ تَخوِيفِها[2]

أما قوله:

حَتى مَتى نَحنُ فِي الأيَّامِ نَحسِبها وإنَّما نَحنُ فِيها بَين يَومين

يَومٌ تَولى ويَومٌ نَحنُ نَأمَله لَعلَّه أَجلَب الأيَّام للحَنِين[3]

فقد أخذه من قول أبي حازم الزاهد:" إنما بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، وأنا وهم من غد على وجل، وإنّما هو اليوم، فماعسى أن يكون اليوم؟"[4].

وهكذا يتضح لنا كيف أنّ الشاعر اقتبس أشعاره من هذه المصادر الثلاثة القرآن والسنة والأثر، فقد اعتمد أكثر على النصوص الدينية من غيرها، ف"استقى حكمته من الإسلام"، فيضفي على هذه الاقتباسات روحه المميزة ويقدمها بأسلوبه الجذاب، ويظهر من خلالها أفكاره ومعانيه التي يريد إبلاغها، فتخرج هذه الاقتباسات في زيّ جديد لم تعهده من قبل.

وفي الحقيقة أغلب شعر أبي العتاهية في الزهد والوعظ، هذا الزهد الذي تميّز عن باقي أغراضه الأخرى بالحكمة الأرقى، والأعمق في النفوس، لجدية هذا الموضوع وطبيعته واهتمامه بذكر الأحزان والندم والاشتياق،وأيضا التأمل وإظهار حقائق الوجود

[1]– حسان الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص218.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص282.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص436.

[4]– محمود الملاح، تشريح شرخ نهج البلاغة لابن أبي الحداد،ت– أبو الفيض الرحماني، دار الكتاب، بغداد، ص94.

ومكنوناته، والحياة والموت والمصير بطريقة هي مزيج من القيم الشرقية وتعاليمه، والقيم الإسلامية الخلقية التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشها مع أصحابه، وأيضا رغبة الشاعر في تربيته لنفسه وتطهيرها من ذنوبها ومجونها التي أسرفت فيها، وبالتالي السير بها نحو التوبة والورع في شكل شعر اعتباري، الذي كثيرا ما اعتبره حكماء الشرق تعبيرا ومتنفسا عن خلجات نفوسهم الحيارى وتأملاتهم أمام الله، الوجود، المصير، الكون.... حيث وجدت احتفالات وتراتيل دينية[1] بدءا من المصريين والفينيقيين والصينيين والهنود والإيرانيين... انتهاء بالعبرانيين والعرب عبر التوراة والزبور والإنجيل والقرآن[2].

كل هذا كان مؤثرا في ابتهالات وترتيلات أبي العتاهية، ويقول بعض المؤرخين بتأثير الشاعر بالثقافة المسيحية، حيث يذكر "كار بروكلمان" أن أبا العتاهية كان يفضل أن يستفتح شعره بلفظ أين، ويعود ذلك لتأثره بوعاظ النصارى –كما يقول– كما أن معانيه الشعرية شبيهة بما جاء به الشاعر السرياني "يعقوب السروجي" وكأنّهما أخذا هذا الاتجاه من الوعاظ ونجد "رشر recher" تحدّث عن المعاني والأفكار النصرانية التي وجدت في زهدياته من خلال ترجمته لديوانه[3].

وقد أثار المستشرقون بقوة فكرة صلة الزهد بالتأثيرات النصرانية حتى ينسبوا حقيقة وجود الروح الإسلامية إلى المسيحية، غير أنّ هذا غير صحيح لأنّ أصلها من تعاليم الإسلام، وإن كنّا لا ننفي بتأثير الزهد النصراني على حركة الزهد عامة[4].

وإذا ما أردنا الردّ على ما ادعاه "بروكلمان" فنقول إنّ افتتاح أشعاره بلفظ "أين" شبيه ما جاء به القرآن الكريم عند قصّه لحكايات الأولين، كما استعمله الكثير من

---

[1]– ينظر خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، ص136–137.

[2]– ينظر نفس المرجع .ص 137

[3]– ينظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عيد الحليم النجار، ط52، دار المعارف، ص35.

[4]– ينظر محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن 2، مكتبة الدراسات الأدب، دار المعارف، 1963، القاهرة، ص295.

الشعراء قبله، ثم ما هي المعاني التي أخذها أبو العتاهية عن "يعقوب السروجي"؟ ونحن نرى أنّه اعتمد كثيرا على القرآن الكريم وتعاليمه، غير أنّه يمكن أن نجد بعض التأثيرات الفلسفية التي تعرض لها في عصره[1].

ويرى خلف الله أنّ الشاعر يستنبط منابع شعره من المصادر الإسلامية العربية أي القران الكريم وأقوال الرسول والصحابة والزهّاد والعبّاد الذين عاصرهم وان كان في بعض أفكار الشاعر الزهدية مايخالف التعاليم الإسلامية[2]،غير أنّأنيس المقدسي يرى أنّ الشاعر يصور لنا الحياة الشرقية القديمة والأساس الذي تنبني عليه هذه الروح"احتقاره لحياة الدنيا وتعظيم الأخر"[3].

إذا فقد تكلم شاعرنا في حكمته الزهدية عن الخلفاء والأمراء،وعظهم وزجرهم وذكر الموت والحساب، وإهمال مغريات الحياة، وكذلك قال الكثير في شكل تأملات عن الإنسان والمجتمع،وماله من عادات وتقاليد وقيم يسير وفقها، فجاءت حكمه مسبوكة في كلمات لا تدل على أنّها نظم، لولا القافية والإيقاع اللفظي الناتج عن حسن سبك تلك المفردات في يسر وسهولة ،شبيها في ذلك بالبَنّاء الماهر الذي يجيد رصف الأجور دون إن يترك منفذا معيبا،ورغم التقريرية النثرية التي يقع فيها أحيانا،إلا أنّ روحه المستصاغة في أشعاره غطّت هذه النثرية، جعلت من أقواله حكَما تبيّن موقفه إزاء الحياة والوجود، والمجتمع وأحوال أفراده، وتألمه لآلامهم،

رابعا–أبو العتاهية والتصوف :

لقد عاش الشاعر أبو العتاهية بداية القرن الثالث للهجري، حتى كانت الأفكاروالنزعات الصوفيةآخذة في الظهور، لتشكل فيما بعد المذاهب الصوفية في هذا

[1]– ينظر نفس المرجع ص 295.

[2]– ينظر عاني سامي، دراسات في الأدب الإسلامي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968، ص98.

[3]– أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، أوت 1989، دار المعارف، ص119.

القرن[1]، إذ أنّ "التصوّف بمعناه الدقيق لا ينحصر في مظاهر الورع والتقوى والإمتثال لأوامر الشرع ونواهيه وغير ذلك مما لا يعد وحدود التدين، ولا يتمثل كذلك في مجرد العزوف عن الدنيا والاهتمام بالآخرة ... هو حياة روحية قبل كل شيء، وتربية نفسية وتجربة باطنية يعيشها الصوفي،ويترقى في درجاتها، بحثا عن الحق وسعيا إلى القرب من الله والاتصال به[2] " ..

هذه الأفكار والمعاني الجديدة وجدت سبيلها في شعر أبي العتاهية، وان لم ينتمي إلى هذه المذاهب ولم يسلك مناهجهم، فتحدّث عن النفس وانقيادها لهواها وتماديها وعن تزهده ورغبته فيه،كما تحدّث عن صحّة الإرادة والغيب والشهادة،وهي كلّها من المعاني الصوفية[3]،كقوله :

ألا مَن لِنفسٍ بِالهَوَى قَد تَمَادَت إذا قُلتُ قَد مَالَت عَن الجَهلِ عَادتِ

وحَسبُ امرِئٍ شرًا بِإهمالِ نَفسِهِ وإمكَانِها مِن كلِّ شَيءٍ أرَادتِ

تَزاهَدتُ في الدُنيا وإنّي لَراغبٌ أرَى رَغبَتي مَمزوحَةً بِزهادَتي

إرَادةُ مَدخولٍ وعَقلُ مُقِّصرٍ وَلو صَحَّ لِي عَقلِي لَصحَّت إرادَتي

ولَو طَابَ لي غَرسِي لطَابت ثِمارُه وَلو صَحَّ لِي غَيبي لصَحَّت شَهادتي[4]

فهو في هذه الأبيات يقف موقف المشتكي من نفسه المنقادة لهواها،وعكوفها على جهلها وعماها فيهملها الشاعر ويتذمّر لعدم صدقها في الزهد والصحّة في الإرادة، وهذا موقف صوفي، حيث جعل الصوفية أنفسهم عدوّة لهم،إذ هي التي ترغبهم في الحياة

[1]– ينظر حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الانجلو المصرية، 1904، ص224.

[2]– سامي عاني، دراسات في الزهد والتصوف، مطبعة المعارف، بغداد، 1968، ص80–81.

[3]– حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص 224.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 50.

وتدفعهم إلى الشهوات فيحذروها ويوقفوا رغباتها، إذ" يتخذ الإنسان فيه من نفسه له عدوا يحذره ويغشاه، ويرجع إليه في كل ذلك يقع فيها ليقول(منك أتيت) دون أن يحاول التماس العذر أو التبرير بالوقوع في الخطأ".[1]

كما يتكلم أبو العتاهية عن اليقين وأثره في إزالة ظلام الحيرة والشك، هذا اليقين الذي يعتبر من المعاني التي ترتكز عليه الحياة الروحية الصوفية فيقول:

أَلا إنّ اليَقين عليه نُور وأنّ الشَّكَ ليس عَليه نُور[2]

وقال:

خُذ مِن يَقينِكَ مَا تَجلو الظُنونَ بِهِ وَإِن بَدا لَكَ أمرٌ مشكل فدعِ

قَد يُصبحٌ المرءُ فيما ليَس يُدركُهُ مُملَّقَ البَالِ بينَ اليأس والطَمعِ

لم يَعملِ الناسُ في التَصحيحِ بَينَهُمُ فَاضطَرَّ بَعضُهُمُ بعضًا إلى الخُدعِ[3]

وقد تجاوز أبو العتاهية في شعرهذه المعاني الصوفية، فتكلّم عن التوكّل والرضا وهما من أسس المذهب الصوفي التي كانت في طور التكوين ذلك الوقت،وأيضا تكلّم عن الحب الإلهي الذي كان طابع التصوّف لفترة طويلة من القرن الثالث، و تحدّث عن المعرفة وإن لم يصل إلى المعنى العميق لها[4]،فيقول عن التوكّل:

لَعمر أبِي لو أنّني أتفكر رَضَيت بما يقِضى علي ويقدر

تَوكَل على الرحمَان في كلِّ حَاجة أردت فإن الله يقضِي ويقدر

---

[1]– حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص 224.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص107.

[3]–ديوان ابي العتاهية ، ص 145.

[4]– ينظر حسان، التصوف في الشعر العربي، ص 225.

مَتى ما يَرد ذو العَرش أَمرًا بعِبده يصبه وما للعَبدِ ما يتَخير

وقد يَهلكُ الإنسَانُ مِن وجه أمنه وينجو بإذن الله، من حيث يحذر[1]

وفي الحب الإلهي يقول:

نَبغي مِن الدُنيا الغِنَى فَيزيدُنا فَقرًا ونَطلُب أن نَصِحَّ فَنمرَضا

لَن يَصدُقَ اللهَ المحبَّة عبدُهُ إلا أحبَّ لَه ومِنهُ وأبغَضَا

والنَفسُ في طَلَبِ الخَلاصِ ومَالهَا مِن مَخلَصٍ حَتى تَصيرَ إلِى الرِّضَا[2]

"وهذا الشعر لو نسب إلى الجنيد أو الشبلي أو غيرهما من صوفية القرن الثالث لما كان ذلك موضع إنكار، لأنّه في مذاهب التصوّف ومن بوادر الشعر الصوفي[3]"، وفي المعرفة بالله يقول:

سُبحانَ مَن لَم تَزل لَه حُجَجٌ قَامَت علَى خَلقِه بِمَعرِفَتِه

قَد عَلِموا أَنَّه الإلَه ولَكِن عَجَزَ الوَاصِفونَ عَن صِفَتِه[4]

وهذا لا يعني أن أبا العتاهية شاعر متصوف لذكره مبادئ المتصوفة والإشادة بها، إنّما هو ظلّ غريبا بعيدا عن طريقهم،و طريقة نظرتهم للحياة –رغم معايشته لعصرهم– وإن نطق بأفكارهم وتصوراتهم للدنيا وأحوالها فإنّه لا ينطق بها عن تجربة، مما جعله أحيانا ينطق بأقوال تتنافى وتعاليم الصوفية[5]، كأن يقول في المال :

فَالمَالُ مِن حِلهِ قَوامٌ للعِرضِ وَالوَجهِ واللِّسَانِ

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص 102.

[2]– ديوان أبي العتاهية، ص 138.

[3]– حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص 226.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 59.

[5]– حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص226.

والفَقرُ ذُلٌ عَليهِ بابٌ مِفتاحُهُ العَجزُ والتَّوانِي[1]

فهو يعرض نظرة تتنافى ونظرة المتصوفة إليه،الذين يجعلون الفقر أساسا وعزة، فيتّفقون في نظرتهم هاته وتعاليم المسيحية[2]،

وإذا ما أوصى الصوفية بتحمل أذى الناس والصبر على أذاهم ،خالفهم هو في ذلك حيث يروى أن "صوفيا لقي صديقا له، ورآه مغموما فسأله ما بك؟ فقال: كان لي يتيم أربيه واحتسب الأجر فيه فمات، فقال له: فالتمس يتيما آخر فقال: أخاف ألاأصيب يتيما آخر في سوء خلقه، فقال له: أما والله لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه"،فإذا كان هذا رأي المتصوفة في الصبر على أذى الناس فإن أبا العتاهية على العكس من ذلك،يشكو أخلاقهم، ويتأوه من تصرفاتهم[3] فيقول :

فيَا رَبِّ إنَّ النَّاسَ لا يُنصِفُونَني وإن أنَا لَم أُنصِفهُم ظَلَمُوني

وإن كَان لي شَيءٌ تَصَدَّوا لِأخذِهِ وإن جِئتُ أَبغِي سَيبَهُم مَنعُوني

وإن نَالهُم رَفدِي فلا شُكرَ عِندَهُم وإن أَنَا لم أَبذُل لهَم شَتَمُوني

وإن وَجَدوا عِندي رَخَاءً تَقرَّبُوا وإن نَزَلَت بِي شِدَّةٌ خَذلُوني

وان طرقتني نكبة فكهوا بها وإن صَحِبَتي نعِمَةٌ حَسَدوني

سَأَمنَعُ قَلبي أن يَحِنَ إليهِم وأَحجُبُ عَنهُم نَاظِري وجُفُوني[4]

فيقرّ في البيت الأخير بضرورة ابتعاده عن الناس كليا دون أن يتراجع،مما يؤكّد حتما عدم انتمائه إلى المذاهب الصوفية ومفاهيمها.كما يقول:

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، ص 270.

[2]– حسانعبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص226.

[3]– ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 117–118.

[4]– ديوان أبي العتاهية، ص 255.

ولَو أَنِّي صَدقتُ الزُهدَ فِيها قَلبتُ لأَهلِها ظَهرَ المِجَنِّ[1]

ويقول في موضع آخر:

بَرِمتُ بالنَّاسِ وأَخلاقِهم فَصِرتُ أَستَأنِسُ بِالوِحدَه

مَا أَكثَر النَّاسَ لَعمرِي ومَا أَقلَهم في حَاصِل العَدَّه[2]

ولو أنَّ أبا العتاهية عاش تجارب التصوف،وروّض نفسه على أخلاق الصوفية، لما جهر بهذه الآراء، فهو ليس بالمتصوف إنّما زاهد بعدما مرّ بتجارب مُرّة ملّ من خلالها الحياة وأحوالها، فلبّى زهده راحته النفسية وكذا ميوله الأدبي، ولما وجدناه في الأبيات السابقة يتبرّم من النّاس وأخلاقهم، فلم يكن تصرّفه ذاك منطلق من فراغ،وإنّما لشدّة عنائه من تصرفاتهم وأخلاقهم إزاءه، حيث اتّهموه في سلوكه ودينه وعقيدته،وحسدوه لمكانته التي وصل إليها بقدرته الشعرية[3].

فاعتبر زاهد ولم يعتبر متصوّف،وحسب أبي العتاهية أن كان لسان صدق لتعاليم الزهد في عصره...فأقام بذلك قواعد الشعر الزهدي، وساهم في إرساء الأسس القوية للشعر الصوفي، وبشعر أبي العتاهية أصبح الشعر الزهدي....فنا من فنون الشعر لكلّ شاعر حق في تناوله.

[1]–المصدر نفسه ، ص 263.

[2]– ديوان أبي العتاهية ،ص80.

[3]– ينظر حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، ص 228.

الخاتمة

الخـاتمـة:

الحمد لله الذي أعاننا على إنهاء هذا البحث الذي جاء موافقا لما نصبوا إليه، وكان له اثر علينا أثناء الكتابة وبعد الانتهاء منها،فتعرفنا على شاعر كبير من شعراء العصر العباسي ، مركزين على جانبي المجون والزهد من حياة الشاعر التي عاشها ، فخلصنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في:

– الشاعر أبو العتاهية يملك حسا مرهفا وقدرة شعرية مؤثرة لكل من يقرأ شعره.

– أبو العتاهية شاعر ختم حياته بالتوبة والرجوع إلى الله .

–كان أبو العتاهية يخاطب نفسه ويعاتبها في اغلب زهدياته ، وهي أيضا رسالة للقارئ تجعله هو الأخر يخاطب نفسه ويحاسبها.

– تميز شعره بالألفاظ البسيطة السهلة خاصة في زهدياته مما جعله الأقرب الى العامة والخاصة من الناس.

–تمتع أبو العتاهية بمكانة مرموقة في شعره ، وهي شهادة الشعراء والنقاد المعاصرين له واللاحقين.

– لايمكن الحكم على الشاعر من خلال حياته الأولى أو ظرف مرّ به دون الاطلاع الكامل على شعره وحياته.

–تكشف أشعار أبي العتاهية عن إرادة التغيير وثورته على الواقع.

– استطاع النص الشعري عند أبي العتاهية أن يحقق حضوره على مستوى الشعر العربي القديم ، وأن يرفع اسم صاحبه بين طبقات الشعراء المتقدمين.

– أكثر في شعره الزهدي التهديد بالموت والتذمر من الناس ولخيانة نتيجة للآلام التي عاشها.

وفي الختام نحمد الله ونشكره على إتمامنا لهذه الدراسة ونتمنى منه التوفيق، كما نشكر جامعتنا التي كانت ولا تزال منبع العلم والمعرفة والتي منحتنا هذه الفرصة لإتمام هذا البحث، وأتوجه بفائق الشكر والامتنان للأستاذة المشرفة على مجهوداتها المبذولة في الإشراف وأعضاء اللجنة العلمية على تقويمهم للبحث والوقزف عليه.

وفي الأخير أسأل الله السداد والرشاد فيما نسعى إليه، ومالتوفيق إلا من الله.

- القرآن الكريم.
- معجم الوسيط.
- معجم لسان العرب.
- معجم الجامع.
- **المصادر:**

1. أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ- 1986م.
2. أبو نواس، ديوان أبي نواس برواية الصولي، ت بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، سنة 2010.
3. أبو دلامة، الديوان، تأليف على أحمد بكثير، دار مصر للطباعة، مكتبة الإسكندرية.

ب *المراجع:

1. ابن العبري (غريغوريوس ابي الفرج بن اهرون الطبيب الملطي)، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط2، 1994.
2. ابن المعز، طبقات الشعراء، ت عبد الستار احمد فراح، سلسلة تفاخر العرب، دار المعارف، القاهرة، 1956.
3. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر بن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، سنة 1978.
4. ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، الدار العربية للكتاب، 1981.
5. ابن عامر توفيق، دراسات في الزهد والتصوف، مطبعة المعارف، بغداد، 1968.
6. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2 ج8 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 2020.
7. ابن قيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء،ت علي شيري،دار الأضواء للطباعة والنش،ج2،سنة 1990
8. أبو العتاهية أخباره وأشعاره، تحقيق شكري فيصل.

9. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ب ط، دار الكتب.
10. احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ص119.
11. الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم،ج1، ط1، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ، 1991م.
12. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، ج3، ج2، سنة 1998.
13. الخواريزمي (الشيخ أبي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي)، مطبعة الشرق بمصر، مفاتيح العلو.
14. الدينوري (أبي حنيفة احمد الدينوري)، الأخبار الطوال، ط1، 1330هـ، مطبعة السعادة بمصر.
15. الزمخشري، تفسير الكشاف خليل مأمون شجا، دار المعرفة، بيروت.
16. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7.
17. العمدة محمود فرج عبد الحميد، أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، ج1.
18. المسعودي (أبي الحسن بن علي المسعودي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1ج4، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة 2005.
19. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي، ط17، دار المعارف، بيروت، 1989.
20. حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي، مكتبة انجلو المصرية، 1904.
21. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الأول، النهضة المصرية، القاهرة، ج2.
22. حسن خليفة، الدعوة العباسية قيامها وسقوطها، ط1، المطبعة الحديثة بشارع خيرت، القاهرة، سنة1931.

23. حسن عطوان، الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، دار الجيل، بيروت، مؤسسة خليفة للطباعة.

24. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط7، المطبعة البوليسية، بيروت، لبنان.

25. خليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول.

26. رفيق القيرواني، طب السرور في أوصاف الانبذة والخمور، مكتبة الشاملة.

27. رفيق المهايني،تاريخ الخلافة الأموية والعباسية،مطبعة دارالليقظة العربية،دمشق 1946

28. سامي العاني، دراسات في الأدب الإسلامي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968.

29. ستيفن رنسيمان، حضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ط2.

30. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة ط 39، 1432هـ،2011م.

31. شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، مطبعة جامعة دمشق، ط محققة، 1965.

32. عبد العزيز الكفراوي،أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، دار النهضة مصر، سنة 1972

33. عبد الكريم هجرس، التناص الاقتباسي في دوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية.

34. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، نقلها إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1973.

35. محمد عبد المنعم خفاجي، ابن معتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، دار العهد الجديدة للطباعة، ط2.

36. محمد مصطفى هدارة، المأمون الخليفة العالم، دار المصرية للتأليف والترجمة،

37. مصطفى البشير قط، مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، 2009.

38. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، جامعة كويت، ط1، دار ابن قتيبة، 1989م.
39. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج: أحمد الحوفي، بلوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة، ج1.
40. ابن المعتز، طبقات الشعراء،تحقيق عبر السار احمد فراج،ج4، دار المعارف، مصر.
41. ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد بن خلدون)، المقدمة، تحقيق المستشرق أ.م. كاترمير عن طبعة باريس 1958، مكتبة لبنان، بيروت، مج2، الفصل 18.
42. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت.إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1968، ج4.
43. ابن طيفور، بغداد، ت السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 2002، غ 1.
44. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1419هـ-1998.
45. أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أجناس من ذهب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، مج1، ج2.
46. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج6، ط4، دار المعارف، 1964.
47. أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، التعازي والراثي والمواعظ والوصايا، تح: إبراهيم محمد، مراجعة محمد سالم.
48. أبي بكر محمد بن الطيب البقلاني، إعجاز القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ج1.

49. أبي رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم،ت الأرنؤوط،ط7، بيروت،ج1،مؤسسة الرسالة

50. احمد احمد بدوي، البحتري،مكتبة النور، دار المعارف، ط4.

51. احمد الاسكندري،الوسيط في الأدب العربي وتاريخه،ط5،مطبعةالمعارف، مصر1925

52. احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ط1، مطبعة الاعتماد بشارع الحسن الأكبر لصاحبها محمود الخضري، 1933.

53. أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي،ج3، منشورات مكتبة الحيدر،طبعة نجف1964

54. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مزبدة ومنقحة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

55. أسامة كانوني، أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي، بيروت، لبنان، 1950.

56. الأصفهاني،محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،دار الحياة،بيروت، 1961.

57. الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط جديدة ملونة، الناشر دار ابن كثير، لبنان، بيروت، 2018.

58. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، دار الفكر، دمشق، ج2 ج3، 1968.

59. الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر ودار البحار، بيروت، سنة 1955.

60. الجهشري، الوزراء والكتّاب، مكتبة بولاق، القاهرة، 1936.

61. الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ج14.

62. الخليل شرف الدين، أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، دار المكتبة الهلال، بيروت.
63. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم النرزي، مج 10، المجلس الوطني للفنون الأدب، 1972.
64. السباعي بيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي،ط2،مطبعة العلوم1937.
65. الطبري (عبد العزيز الطبري بن حرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، المعارف، القاهرة، ج14 ج8.
66. الفراهيدي،كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامراني، ج4، سنة 2001.
67. الفيروز بادي، القاموس المحيط، ط2، المكتبة الدينية المصرية، مصر، 1924، ج4.
68. أنور ريحان محمد بن احمد البيروني، الجماهير في الجواهر، تحقيق يوسف الهادي، ط1، طهران، 1995.
69. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، أوت 1989، دار المعارف.
70. باسل زيدان، معجم الجامع، إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار العلم للملايين.
71. جلال الدين بن أبي بكرالسيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق محي الدين الحميدة،ط1 مصر
72. جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ط بيروت، 1965.
73. حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ط2، مركز الإسكندرية للكتاب، 2004.
74. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي في العصر العباسي الثاني، مكتبة النهضة المصرية ، ج3، سنة 1949.

75. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة بمصر، ط1، ج1، سنة 1938م.
76. سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب في العصر العباسي الأول، ج3، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
77. شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص 30-31، عن تاريخ بغداد.
78. شوقي ضيف،العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، ط2، تاريخ النشر 2012
79. عاني سامي، دراسات في الأدب الإسلامي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968.
80. عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره في القرن 3هـ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1904.
81. عبد الستار السيد متولي، أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وتطوره وأشهر رجاله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
82. عبد اللطيف شرارة،أبو العتاهية شاعر الزهد والحب الخائب دار الشرق الجديد، بيروت
83. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عيد الحليم النجار، ط52، دار المعارف.
84. محمد أحمد برانق، أبو العتاهية، مطبعة مصر، 1947.
85. محمد رضوان، أسرار الأمير العاشق، مركز الراية، القاهرة، 1998.
86. محمد شاكر،التاريخ الإسلامي للدولة العربية، ط2،المكتب الإسلامي، بيروت، 2000
87. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن 2، مكتبة الدراسات الأدب، دار المعارف، 1963، القاهرة.

88. محمد مصطفى هدارة، المأمون الخليفة العالم،دار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

89. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحداث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

90. محمود الملاح، تشريح شرخ نهج البلاغة لابن أبي الحداد، ت- أبو الفيض الرحماني، دار الكتاب، بغداد.

91. مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.

92. أبي الحسن بن علي المسعودي،مروج الذهب،ج3،مؤسسة دار الهجرة،بيروت، 2005

93. يوليو قهلوز، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة أبي زيدة، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1968.

94. يونس السامراني،سامراء في أدب القرن الثالث هجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968

95. (ابن الكثير) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج10، ط1، دار هجر للطباعة بمصر، 1998.

96. (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، بيوت، لبنان، 2003.

97. احمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج 3، مطبعة الغرى، النجف، سنة 1939.

98. جعفر المرتضى العاملي، الحياة السياسية للإمام الرضا.

99. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول،دار العارف، القاهرة، ديسمبر، ط8 ، 1966.

100. علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سنة 1989.

101. أبو العتاهية وخصائص شعره، دراسة لنيل درجة سرجان مانيورا بمكاسر، 2014.

102. أحمد خوجلي، الاتجاه التحديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، 2007.

103. حمسياني، أبو العتاهية وخصائص شعره، مذكرة درجة سرجانا بجامعة علاء الدين بمكاسار، اندونيسيا، لسنة 2014.

104. هبة رشاد الدسوقي، مظاهر التجديد في العصر العباسي الأول، كلية الآداب (قسم اللغة العربية) جامعة الخرطوم،السودان، 2008 .

105. عبد الكريم هجرس، مجلة كلية الآداب، التناص الاقتباسي ودوره في إنتاج الدلالة في شعر أبي العتاهية، 2017.